

الباب الثامن

في وفاته

لما كملَ اللهُ تعالى له ولأمتِه الدينَ وأتمَّ عليهم النعمةَ نقله الى دار كرامته شهيداً من أكل الذرام المسموم الذي أهدى له بخير ليجمع الله له بين شرف النبوة والشهادة . فابتدأه المرض في العشر الأخير من صفر سنة إحدى عشر في بيت أم المؤمنين سيدتنا ميمونة رضي الله عنها . فلما اشتدَّ وجعه تحوّل الى بيت عائشة وأقام مريضاً نحو إثني عشر يوماً . وتوفي في يوم الإثنين ثاني عشر من شهر ربيع الأول عند الجمهور .

و غسله سيّدنا عليّ وسيّدنا العباس وإبناه القثم والفضل يعيناهما أسامة بن زيد وشقران يصبان الماء وأوس بن خولي الخزرجي ينقل الماء من بئر غرس . ولم يُجرّد من قميصه وجعل عليّ عليه السلام على يده خرقة وأدخلها تحت قميصه فغسله ودلكه بماء وسدر ثلاث غسّلات ، ثم كُفّن في ثلاثة ثياب ليس فيها قميص ولا عمامة ، ثم صلّى الرجال عليه فرادى فوجاً بعد فوج يدخل فوج فيصلون ثم يخرجون ويدخل غيرهم ، ثم صلّى النساء والصبيان .

ثم دُفِنَ في البقعة التي قُبِضَ فيها لكونه كان قال عليه الصلاة والسلام ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِنَ حيث يُقْبِضُ . فرُفِعَ فراشه وحُفِرَ له تحتُه ودخل القبر الجماعة المذكورة وقيل إلا أسامة وأوس . وفرُشَ له في قبره قطيفة كان يلبسها ويفترشها فقالوا لا يلبسها أحدٌ بعده ، وهو كساء له حُمِلَ بجوانبه وقيل أخرجت قبل الإهالة . واتخذوا له لحداً أي شقّوه في جانب القبر ونُصِبَت عليه تسمُ لَبِنَات ، ثم أُطْبِقت . وجعلوا القبر مسطحاً لا مسنماً ولا لاطناً بالأرض ورشوا عليه ماءً بارداً . واشترك الناس كلهم في العزاء وطاشت العقول وخرست الألسن وأظلمت الدنيا . ودُفِنَ ليلة الأربعاء وقيل ليلة الثلاثاء ، وكانت ليلة ليلاء أي مظلمة لفقْد الرسول وانقطاع الوحي . قال أنس رضي الله عنه ما نفضنا أيدينا من ترابه حتى أنكرنا قلوبنا ، وكانت وفاته أعظم المصائب وأفظع الدواهي ، وإرتدَّ كثيرٌ من الناس بك قالوا ما بقي مسجدٌ إلا ارتدَّ بعضُ أهله إلا ثلاثة مساجد . ثم أدرك الله تعالى الأنام بلطفه وخذل أهل الردّة ونصر الإسلام وأهله والحمد لله . وهذه النبذة يتعيّن على كل مسلم الإحاطة بها علماً ، وهي خلاصة عدّة أسفار وشرحها يحتل مجلدات وهي جديرة بأن تُفرد وتُحفظ . إنتهى .

(وقد أحببتُ) أن أنهي الكلام على هذا المقام بقصيدة نبوية تكون له مسك الختام ، فقلت متوسلاً به عليه الصلاة والسلام :

ومُجِيرِ النَّاسِ مِنْ نَارِ السَّمِيرِ
بِالتَّسْفَاتِ يُجِيرُ الْقَلْبَ الْكَسِيرِ
لَمْ يُحِطْ خَبِيراً بِهِ كُلَّ خَبِيرِ
مَا لَهَا فِي حَضْرَةِ الْقَدْسِ نَظِيرِ
خَلَقَ الْأَفْلاكَ مَوْلَاكَ الْقَدِيرِ
أَنْتَ بَيْتَ الرِّسَالِ الْبَدْرُ الْمُنِيرِ
شَمِلْتَ كُلَّ قَلِيلٍ وَكَثِيرِ

يا شفيهم الخلق في اليوم العسير
أستميك النظر الي كسير لي
أنت رمز الكنز غيب الغيب من
أنت ذو المنزلة الزلفى التي
أنت روم الكون لولاك لما
أنت مقصود الوجود المصطفى
أنت تلك النعمة الكبرى التي

أنت فخر العالم المُمخّار من
 رحمةً للعالمين المُرتضى
 ياأجلك الرُّسُـلُـكُ إنني قد
 وعَرَّاني ما عَرَّاني من عناءٍ
 وأنا عبدٌ ضَعِيفٌ مَذْنِبٌ
 وحمالك الملجأ المقصود في
 فأغثني ياغياث الأنبيا
 وأغثني من بلاءٍ مُخْطِرٍ
 واستجب لي وقيني ما أشتكي
 ياأبني الرحمة العظمى التي
 لا تُخيبني فإني سائلٌ
 ياأبنا الزهراء كُنْ لي منقذاً
 يوم لا مال مسالكاً
 من لهذا المذنب العاصي إذا
 جارت البلوى على جسمي وهل
 حاش خير الخلق أن يمنعني
 وهو ذُخْرُ العالمين المُرتجي
 وهو كاف للبرايا كافلاً
 ذو يمينٍ وهبت كل يسار
 كيف لأثني على حضرتهم
 كيف لا والقمر إنشققاً له
 والخصي سببم في راحته
 وبكف من تراب يوم حنين
 وإغثذي من سرِّ الجمع الكبير
 أي سيف أو يراعٍ قبله
 بشر القيصر إذ قصّر في
 معجزاتنا أحاول وصفها
 أو أقلب بصري في حصرها
 قدست عن حيلة العدة فمن
 حسبه القرآن منه فلكم
 عمّ عام الفيل خيراً وأقرأ
 وغدت أمينةً أمينة
 ورأت إذ وضعت أنهما
 وقصور الشام منه ظمرت
 ليلة الإثنين ثاني عشر
 ليلة أنطقت البشرية به

آدم المبعوث بالدين اليسير
 للورى خير بشير ونذير
 دهاني الدهر بالخطب الخطير
 عسير زاد عن صبري اليسير
 مستجير بحمك المستنير
 كل حال من صفير وكبير
 ليس لي غيرك والله من نصير
 خاطري من خوفه غير قرير
 وأجرني منه ياخير مجير
 وسعت كل غني وفقير
 واقف بالسباب مضطر حقير
 يوم لا يغني كبير عن صفير
 فيه أو يرفع وزراً عن وزير
 لم يجره أحمد الهادي البشير
 غير مغني فضله المغني يجير
 رشفة من بحر البر النمير
 عصم العاصي من الهول المبير
 للعطايا ظاهر المجد ظهير
 لمن في قبضة العسر أسير
 بثناء يبهر العقل نضير
 واليه قد شكا الضر البعير
 وارتوى من فيضها الجم الغفير
 وحده الجيش الكثير
 بما لا يشبم الطفل الصفير
 راع كسرى بصليلى أو صرير
 بيعة الإسلام بالمر القصير
 صار فكري حيرة كل مصير
 ينقلب لي خاسناً وهو حسير
 أين يحصيها نظم أو نثير
 أعجزت آياته الحسب الخبير
 مولد المختار جار المستجير
 ما يضر الأم حملاً أو يضير
 أبرزت نوراً به الكون استنير
 ودنا النجم سروراً للمسير
 من ربيع الأول الشهر الشهير
 كل وحش أخرست كل أمير

أخمدت للفُرس ناراً هي من
بارك الله بها من ليلة
إذ تجلّى رافعاً نحو السما
النبي العربي المديني
خاتم الرسك الكرام المديني
لم يشتم الكون لولا فضله
خلق الله له الخلق وما
وسرى ليلاً من البيت الحرام
ثم للسبم السموات التي
ودننا من طور أو أدنى ونال
جاء بالدين الحنيفي مظهراً
فمن إنقاذ له الحسنى ومن
لم لأقصدته وهو له
أنا عبد من عبيد الباب بك
بك أنا عبد كلاب سكنت
عطف الله علينا قلبه
وعليه ثابتت أركى صلاة
مع تسليم عظيم كلما
حين قلت حيلتي قلت له
فهو عوني وهو غوثي وبه
رضي الله عن القوم الأولي
سادة لما رأوا شمس الهدى
نفروا من ظلمة الشرك إلى
سما الصديق والفاروق مع
ثم باقي العشرة السادة والأل
والى أعتابهم جاءت على
كلمة تسخر بالأنجم في
إن عدت من فضله مقبولة
كيف أحصي وصف من لولاه
وتعالى قدره الأعظم أن
غير أني طامع في عفو
فعمسى إحسانه ينظمني

الف عام في شميقت وزفير
صبحها أسقر عن خير سفير
رأسه للعرز في ذلك بشير
أحمد الأخلاق محمود العشير
سيد الأنوان ذو الفضل الغزير
نفس الرحمن ذا الروح العاطر
زاد في الزاد على قرص شعير
الى الأقصى وجبريك السمير
حضرة السدرة والقرب الخطير
منى من ذلك الفوز الكبير
للتقى بالحق للحق ظهير
حاد عنه قلبه بنسب المصير
فيض جود أجد الغيث المطير
أنا في الأعتاب كلب يستمير
طيبه الطيبة النشر العبير
وجزاه كلاً خير من نذير
من الرحمن مادام ثبير
قرع السم هديك أو هدير
يا عريض الجاه إنني مستجير
أثقي اليوم العبوس القمطير
تبعموه ساعة العيش المرير
جاء بالحق وبالصدق جدير
نور التوحيد يانعم النفير
ختمه منهل الخير الوفير
والصحب فهم خير عشير
غاية التقصير بالمدم تسير
في نظمها أو تسحر الروح النصير
جرت الذيل على نظم جرير
ماكان هذا الكون إلا في الضمير
يصل الفكر إليه أو يصير
عن قصوري فهو من باعي القصير
مع حسنان وإن كنت الأخير

وقلت أيضاً من القافية لا البحر مستعيناً بجاه هذا النبي البرّ والسيد المعظم صلى الله عليه وسلم :

رسول الله لي خطباً خطير
رسول الله بصري كليل
رسول الله مالي من نصير
وفضلك لي به أملك قضي
وأنت غياث كل الخلق طراً
لعمرك يا أجيلك الرسل إني
فأنعم بالحنو علي مالي
فإن أدركتني بخفي لطف
وإن لم ينجب برضاك كسري
رسول الله إننا قد تولى
إذا ما كان منك لنا نصير
على كل الأنام لك الأيادي
فما في الكون إلا مستمير
من البيت الحرام سررت ليلاً
إلى السبع الطباق إلى مقام
مقام منار أو أدنى المعالي
إلى نظر تبارك في دنو
محال أن تحيط به عقول
إذا عطف النبي فكل أمر
بسطة يدي مفتقراً إليه
فحاشا أن يرده يدي صفرأ
وهلك أرضاً أقلت أو سمماً
هو الداعي إلى الدين الحنيفي
فطالم من يصدقته سعيد
قصرت مدائح على لساني
يطيب بذكره عيشي وقلبي
فثابر يا عبيد على ثناء
يراعك لا يرام إذا تغالى
ولا تمدح سواه فكل شخص
وكل عظيم فخر أو ثناء
ومن يمدح سوى الله تعالى
فصلى ثم سلم كل حين
وإن ثم أصحاب كرام
مدى الأيام ما الأعمار تمت

أنا منه بجاهك مستجير
وأنت بكل أهالي بصير
سواك الدهر يانعم النصير
لساني عن إفادته قصير
وجاهك ذلك الجاه الكبير
لما أنزلت من خير فقير
إلى غير الحمى الأسمى مصير
فدهري لا يضُر ولا يضر
فكيف مال أهالي يصير
علينا ذلك الخطب الخطير
وقد عظم البلاء فلمن نصير
وفي رتب العلا القدم الشهير
بفضلك أو بنورك مستنير
إلى الأقصى وجبريل السميع
به قد خصك المولى الخبير
بكوكب مجدك الأسمى منير
تعالى أن يكون له نظير
ويعلم قدره إلا السقدير
عسير من عواطفه يسير
وقلبي بالإجابة لي قرير
ومن أخلاقه الجود العزيز
أظنت مثله أين النظير
هو الحق المبين هو النذير
ومهبط من يكذبه سمير
وفكري قسراً فراد ينير
يكاد لمدح شوقاً يطير
له ما دام في الدنيا تبير
بمدحتهم نظم أو نظير
له فضل فمنه مستعير
فما غير النبي به جدير
وطه فاته الخير الكثير
عليه الله والملا الكبير
بهم يتيسر الأمر العسير
ووالس أولاً منها أخير

وقلت مستغيثاً بحضرته المحمدية عليه أفضل الصلاة وأتم التحية :

يا لهي إليك محضُ التجائي
وأعنتي ولا تكلني لِنفسي
ربّ اني قد مسّني الضرُّ فاكشف
واغثني بجاه خير البرايا
الوجود السّاري بكلّ الذراري
مفخر الكائنات ذو معجزات
كيف تحصي عدواً وتمصر حداً
وعقول الفحول قد عقلت عن
ليلة من نور النبيّ تجلّت
النبيّ الذي هدى الخلق للحقّ
والرسول الذي حصل به السؤل
أظهر الدين بين أظهر قوم
فراوا أنّه الحقّ فآنقادوا
رضي الله عنهم ورضوا عنه
فعليه صلى وسلم ربّي

وههنا أقول طمعاً بالقول :

قصدتك يا خير الوري بقصائد
فإن تجزها بالالتفات فحظها
ولاريب عندي في القبول فأنه

فأجرني ولا تخيب رجائي
إنني من عبيدك الضعفاء
عني الضرّ أرحم الرحماء
خاتم الرُسل أول الأنبياء
نقطة الباء حيطة الأنبياء
معجزات الأنام بالإحصاء
بلسات الإنشاد والإنشاء
فهم أسرار ليلية الإسراء
عن صباح مامسه من مساء
باهداء الملة السمحاء
لنا من لآلئ الالاء
قاوموا بالذكاء نور ذكاء
اليه بمقلة اليزرقاء
وأعظم بذلك الإرتضاء
وعلى أله بغير انتهاء

ثلاث الى أعتاب فضلك جائزة
عظيم وأعظم بالتفاتك جائزه
لديك سواء حاله غير جائزه

ثم تلقى عنه عليه الصلاة والسلام سرّ هذه النسبة المعظمة سيد هذه السلسلة المنظمة الإمام الجليل
سيدنا عليّ بن أبي طالب نضر الله تعالى وجهه وكرمه .

حضرة أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هو ، كما جمع به الإمام أبو حنيفة النعمان جميع الروايات الواردة في بيان من سبق بالإيمان ، أول جوهرة من جواهر الصبيان قد انتظمت في سلك الإيمان بأشرف الأديان وآخر الخلفاء الأربعة الراشدين ختم الله به الخلافة كما ختم النبوة بسيد المرسلين .

هو باب مدينة العلم وعباب القضاء والحكم بالعدل والفضل بالقول الفصل صلى إلى القبلتين وجمع في ولاية الظاهر والباطن بين الدولتين . فهو إمام العادلين المتقين وولي العالمين المتقين ذو اللسان السؤول والقلب العقول والأذن الواعية والعهود الوافية . هو الأحيشئ في دين الله والممسوس في ذات الله ، المنبيء عن جوامع حقائق التوحيد المشير إلى لوازم بوارق التفريد .

هو أحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وأبو عبدالرحمن بن أبي ليلي . وهو أول خليفة من بني هاشم وأبو السبطين .

(أخرج) أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء . وكان عمره عشر سنين وقليل دون ذلك . قال الحسن بن زيد بن الحسن ولم يعبد الأوثان قط لصغره . وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد إلا تبوك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة وقال له : " ألم ترَضَ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي " .

وله في جميع المشاهد آثار مشهورة وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة . وقال سعيد بن المسيب أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة . وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الراية يوم خيبر وأخبر أن الفتم يكون على يديه . وأحواله في الشجاعة وأثاره في الحروب شهيرة . (وكان رضي الله عنه) شيخاً سميماً أصلم كثير الشعر ربة إلى القصر عظيم البطن عظيم اللحية جداً قد ملأت ما بين منكبيه بيضاء كأنها قطن آدم شديد الأدمة . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثاً . وروى بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابن مسعود وابن عمر وابن الزبير وأبو موسى وأبو سعيد وزيد بن أرقم وجابر بن عبدالله وأبو أمامة وأبو هريرة وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين . وورد في فضله أحاديث لم تُرو لأحد من الصحابة .

(أخرج) الترمذي والحاكم عن علي قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا مدينة العلم وعلي بابها " . هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ، ولا موضوع كما قال جماعة منهم ابن الجوزي والنووي . وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية " ندم أبناءنا وأبناءكم " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال اللهم هؤلاء أهلي .

(وقال حذيفة رضي الله عنه) قالوا يارسول الله ألا تستخلف علينا ؟ قال إن تولوا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً . وسئل صلى الله عليه وسلم عنه ، فقال : " قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علياً

تسعة والناس واحداً . وقدم عليه يوماً فقال : "مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين" . (وقال) إن الله أمرني أن أدنيتك وأعلمك ، وقال : "من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ، وقال علي مني وأنا منه . وقال : "لا يحبهُ إلا مؤمن ولا يبغضهُ إلا منافق" .

(وقال) رضي الله عنه : "دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال -إن فيك مثلاً من عيسى أبغضه اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به - إلا وإنه يهلك في اثنتان محب مفطر يفرطني بما ليس في ومبغض يحمله شأنني على أن يبهتني" . (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أذى علياً فقد أذاني ومن سبه فقد سبني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أحبه فقد أحبني" . (وقال) عليه الصلاة والسلام : "علي مع القرآن والقرآن مع علي" . وقال ابن عباس ما نزل في أحد من كتاب الله مانزلاً في علي .

(وكان) إذا غضب المصطفى لم يجترئ أحد أن يكلمه غيره . (وقال) لعلي ثمان عشرة منقبة ماكانت لأحد في هذه الأمة . قال الإمام أحمد ما ورد لأحد من الصحابة من الفضائل ما ورد لعلي ، رواه الحاكم وغيره . (وكان) رضي الله عنه الإستسلام والإنقياد شأنه والتبري من الحول والقوة مكانه وإذا أردت أن تعلم منزلته من المصطفى صلى الله عليه وسلم فتأمل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة ، جعل يضم الشكل الى الشكل والمثل الى المثل فيؤلف بينهما الى أن أخی بين أبي بكر وعمر وأدخر علياً لنفسه واختصه بأخوته ، وناهيك بها من فضيلة وأعظم بها من شرف .

لقد قيل في التصوف الارتقاء في الأسباب الى المقدورات من الأبواب . (وكان) رضي الله عنه مزيناً بزينة العباد متحققاً بحلية الأبرار والزهاد ، بل في "الأحياء" عن ابن عيينة أنه كان أزهدهم الصحابة . وقد شهد له بكمال الزهد الإمام الشافعي لما قيل له نفر نفر من الناس عن علي إلا أنه كان لايبالي بأحد ، فقال الشافعي : "كان عظيماً في الزهد والزاهد لايبالي بأحد" . (وكان) بذات الله عليماً وعرفاناً لله في صدره عظيماً وقد قيل التصوف البروز من الإحتجاب الى دفع الحجاب .

(ومما حفظ من رشيقت عباراته ورقيت إشارات) :

كونوا لقبول العمل أشد إهتماماً منكم بالعمل فإنه لن يقل عمل مع التقوى .

(وقال) ليس الخير أن يكثر مالك وولدك بل أن يكثر عملك ويعظم حملك . (وقال) إحتفظوا عني لايرجو عبد إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه ولا يستحي جاهل إذا سئل عما لايعلم أن يقول الله أعلم . (وقال) الدنيا جيفة فمَن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب . (وقال) العارف الشعراني قدس الله سره) قلت والمراد بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية بخلاف ما دعت الضرورة اليه ، وذلك أن فضول الدنيا شهوات وأهل الشهوات كثير ولذلك مارؤي زاهد قط في محل مزاحمة على الدنيا كما هو مشاهد ، وإنما سمي طالب الفضول كلباً للدنيا لتعلق قلبه بها لأن الكلب مأخوذ من التكليل وكل من عسر عليه فراق شهوة فهو كلبها فافهم . وما توسع من توسع في مأكلا ولا ملبس إلا لقلته ورعه والشارع لم يأمر بالتوسع في الشهوات والله أعلم . إنتهى . (وقال) من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه ومن ضيعه الأقرب أتيح له الأبعد ، ومن بالغ في الخصومة أثم ، ومن قصر فيها ظلم ، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه شموته . (وقال) من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها . (وقال) إذا كان في رجل خلعة رائعة فلينتظر أخواتها . (وقال) الغيبة جهد العاجز ورب مفتون بحسن

القول فيه . (وقال) ما لبث آدم والفخر؟ أوله نطفة وآخره جيفة لا يبرزق نفسه ولا يدمع حنفة . (وقيل له) ألا نحرسك؟ فقال حارس كل إمريء أجله . (وقال) من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن دأب أربعين يوماً قسا قلبه . واشترى لحماً بدرهم وحمله فقيك حمل عنك فقال أبو العيال أحق بحمله . (وقال) الدنيا تفر وتضر وتتمر ، إن الله لم يرها ثواباً لأولياءه ولا عقاباً لأعدائه . (وقال) من صارم الحق صرعاً . (وقال) القلب مصحف مبصر . (وقال) كل مقتصر عليه كاف ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً . (وقال) الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فلا تضجر . (وقال) من طلب شيئاً ناله أو بعضه . (وقال) الركون إلى الدنيا وما يعانى فيها من الجهد . والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن . والطمأنينة إلى كل أحد قبل الإختيار عجز والبخل جامع لمساوي الأخلاق ، من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه . (وقال) الرغبة مفتاح النصب والحسد مطية التعب . (وقال) إذا أقبلت الدنيا فانفقت منها فإنها لا تغني ، وإذا أدبرت عنك فانفقت منها فإنها لا تبقى . (وقيل له) ما بال العقلاء فقراء؟ فقال عقل الرجل محسوب عليه من رزقه . (وقال) لبعض الملحدين المنكرين للمعاد : إن كان الذي تظن أنت نجونا نحن وأنت وإلا نجونا وهلكت أنت . (وقال لعمر) إن أردت اللحوق بصاحبك فارقم القميص وقصر الإزار واخصف النعل وكُل دون الشبعم ، فمن تزيأ بزي قوم فهو منهم .

وكان له سويق في إناء مختوم يشرب منه ، فقيك له تفعل ذا بالعراق مع كثرة طعامهم؟ فقال أما اني لأختمهم بخلا بل أنا أكره أن يجعل فيه ما ليس منه فيدخل بطني غير طيب . (وقال) القبر صندوق العمل وبعد الموت يأتيك الخبر . (وقال) العجب ممن يهلك ومعه النجاة . قيل ما هي؟ قال الإستغفار . (وقال) السفر ميزان الرجال والحلم والأناة توأمان نتيجتهما علو الصمة . (وقال) ذهب المتقون بعاجل الدنيا وأجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهلها في آخراهم . (وقال) اتق الله بعض النقي وإن قل ، واجعل بينك وبين الحرام سترًا وإن رقت ، واتق المعاصي في الخلووات فإن الشاهد هو الحاكم . (وقال) القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل عدة صبر على شدة . (وقال) ما هلك امرؤ عرف قدره ، وقيمة كل إمريء ما يحسنه ، ومن عذب لسانه كثرت إخوانه . وبالبر يستعبد الحر ، وبشر مال البخيل بحادث أو وارث . (وقال) الجرم عند البلاء تمام المحنة . (وقال) لا ظفر مع بغي ولا ثناء مع كبر ولا صحة مع نهم وتخم ولا شرف مع سوء أدب ولا راحة مع حسد ولا سؤدد مع إنتقام ولا صواب مع ترك مشورة ولا مروءة لكذوب ولا شفييم أنجم من التوبة ولا لباس أجمل من العافية ولا داء أعيا من الجهل والمرء عدو صاحبه ، رحم الله امرؤاً عرف قدره ولم يتعد طوره . (وقال) إعادة الإعتذار تذكرة بالذنب والنصم بين الملأ تقرييم وأكبر الأعداء أخفاهم مكيدة والبخل جامع لمساوي العيوب . (وقال) إذا حلت المقادير ضاعت التدابير ، وعبد الشهوة أدل من عبد الرقت والحاسد مفتاض على من لا ذنب له والإحسان يقطم اللسان وأفقر الفقر الحمق وأغنى الغنى العقل . (وقال) إحذروا نفار النعم فما شارد بمرود ، وأكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع ، وإذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه . (وقال) ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه . (وقال) من نظر في عيوب الناس وأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمت بعينه . (وقال) العفاف زينة الفقر

والشكر زينة الغنى . (وقال) رَدَّ الحَجَرَ من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر . (وقال) أعظم الذنوب ما استخفَّ به صاحبه . (وقال) كانت العلماء والأتقياء والحكماء والأولياء يتكاتبون بثلاث ليس لهنَّ رابعة : مَنْ أَحَسَّتْ سريرته أَحَسَّتْ اللهَ علانيتهُ ، وَمَنْ أَحَسَّتْ فيما بينه وبين الله أَحَسَّتْ اللهَ فيما بينه وبين الناس ، وَمَنْ كانت الأخره هَمَّهُ كفاه الله دنياه . (وقال) رأس الدين صحبة اليقين . (وقال) الصبر يناضلُ الحدثان والجَزَم من أعوان الشيطان . (وقال) لاتعمل الخير رياءً ولا تتركه حياءً وإن لم تكن حليماً فتحلم فإنه قلَّ مَنْ يتشبهه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم . (وقال) رسولك تُرجمانُ عقلك وكتابك أبلغُ ما ينطقُ عنك . (وقال) الأمانى تُعمي أعين البصائر . (وقال) لو حَنَنْتُم حنيت الوالد الثكلان وجأرتُم جوار الرهبان ثم خرجتُم من أموالكم وأولادكم في طلب القرب من الله وابتغاء رضوانه ورفع درجة أو غفر سيئة كان قليلاً . (وقال) قصم ظهري رجلان عالمٌ متهتكٌ وجاهلٌ متنسكٌ . (وقال) رَوَّحوا القلوب فإنها إن كرهت عميت . (وقال) ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء إلا مَنْ عدلَ وحكم بالحق . (وقال) من أشدَّ الأعمال مواساة الأخ في المال . (وقال) خالطوا الناس بالسنتكم وأجسادكم وزايولهم بقلوبكم وأعمالكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع مَنْ أحب . (وقال) التوفيق خيرٌ قائد وحسنُ الخلق خيرٌ قرين والعقل خيرٌ صاحب والأدب خيرٌ ميراث ولا وحشة أشدَّ من العجب . (وقال) إنَّ للنكبات نهايات لابد لأحد إذا نكب أن ينتهي إليها . فينبغي للعاقل إذا نكب أن ينام لها حتى تنقضي مدتها . (وقال) جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيقة في المعيشة . (ولما) ضربه ابن ملجم ودخل عليه الحسن يبكي . (فقال) إحمض عني أربعاً وأربعاً إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الكرم حسنُ الخلق . والأربع الأخر إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفك يضرك ، ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد القريب ، ومصادقة البخيل فإنه يقعدك عن أحوج ماتكون إليه ، والتاجر فإنه يبيعك بالتافه . (وجاء يهودي) فقال : متى كان ربنا ؟ فقال : لم يكن فكان هو ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية إنقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية . فاسلم اليهودي . (وقال) القريب من قربه المودة وإن بعد نسبه والبعيد من بعده العداوة وإن قرب نسبه . ولا شيء أقرب من يد إلى جسد وإذا فسدت قُطعت وإذا قُطعت حُسِمَت . (وقال) الفقيه كلُّ الفقيه مَنْ لم يُقنط الناس من رحمة الله ولم يرحص لهم في المعاصي ولم يؤمنهم عذابه . (وقال) لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم فيه ولا قراءة لاتدبر فيها . (وقال) الدنيا قد ترحلت مُدبرة والأخرة قد ترحلت مُقبلة ولكلُّ منهما بنون فكونوا من أبناء الأخرة لا الدنيا ، فإن اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل . (وقال) كونوا ينجبم العلم مصابيح الليل خلقات الثياب جدد القلوب تعرفوا به في السماء وتذكروا به في الأرض . (وقال) طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة . (وقال) للمرائي ثلاث علامات ، يكسل إذا انفرد ، وينشط عند الناس ، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم . (وقال) سم صوت ناقوس فقال : تدرون مايقول ؟ قالوا : لا . قال : يقول سبحانه الله حقاً حقاً إن المولى الصمد يبقى . (وقال) إن دين الله بيت الغالي والمقصر فعليكم بالفرقة الوسطى فإن بها يلحق المقصر واليهما

يرجم الغالي . وقال (العسكري) لم يرد في التوسط أحسن من هذا .
 وخرج يوماً فإذا بقوم جلوس قال : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : شيعتُكَ . فقال : سبحان الله ما لي لأرى عليكم
 سيما الشيعة عمشُ العيون من البكاء خُمصُ البطون من الصوم ذُبلُ الشفاه من الدعاء صُفرُ الألوان
 من السهر على وجوههم طيرةُ الخاشعين .

(وقال) أوحى الله الى عيسى مرُ بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيوتى إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة
 وأيدٍ نقيّة ، فإني لأستجيب لأحد منهم ولأحد عنده مظلمة . (وقال) القلوب أوعيةٌ فخيرها أوعاها .
 (وقال) الناس على ثلاثة : فعالم ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهممُ رعاي أتباع كل ناعفٍ
 يميلون مع كل ريم .

(وقال) لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم وقال :

تغيّرت البلاد ومنّ عليها فوجه الأرض مفبرّ قبيح
 تغيّر كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقلّ بشاشة الوجه المليح

أخرج عنه الطبراني لكن نوزع بما رواه الثعلبي عن ابن عباس عن سيّدنا محمد والأنبياء كلّهم صلى
 الله عليهم وسلّم في النهي عن الشعر سواء .

(وأخرج) تاج الإسلام بسنده عن شريم قال اشتريت داراً بالكوفة فبلغ أمير المؤمنين عليّاً فقال :
 يا شريم اشتريت داراً ؟ قلت نعم . قال : أشهدت عدولاً ؟ قلت نعم . قال : إنّ الله فإنه سيأتيك من
 لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بينتك أنظر أن لا تكون اشتريت داراً من غير مالك ووزنت مالاً من غير
 حلّ . فتخسر الدارين ولو كنت حين اشتريت صرت اليّ كنت كتبت لك الصكّ على هذه النسخة إذ
 ما كنت تشتريها بدرهم . قلت : وما كنت تكتب ؟ قال : أكتب هذا ما اشتري العبد الذليل من ميت
 أزعج بالرحيل . اشتري هذا المفتون بالأمل من المزعج بالأجل داراً بمحلة الغرور من الجانب الفاني
 في عسكر الهالكين لها حدود أربعة . فحد منها ينتهي الى دواعي الآفات والثاني الى دواعي العاهات
 والثالث الى دواعي المصيبات والرابع الى الهوى المردي والشيطان المغوي . وفي هذا الحد يشرم
 باب هذه الدار بالخروج عن عزّ القنوم والدخول في دار الحرص والفضول . فما أدرك هذا المشتري من
 درك فعلى مبلّى أجساد الملوك مناكب نفوس الجبابرة ككسرى والقيصرة وتبّع وحمير ومن بنى
 وشيد ، شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى والمعرفة إذا خلت من قيد المين والسلام .
 (وكان رضي الله عنه) يقول أعلم العلماء بالله أشدّهم حباً لله وتعظيماً لأهل لإله إلا الله . قال
 العارف الشعرائي قدّس الله سرّه : "لأن أقلّ ما هناك أن العبد يجالس ربّه في الجنة بقدر ماعمل من
 العبادات والله أعلم . إنتهى" .

(وقال) إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها قالت ياربّ هبني لبعض أوليائك ، فيقول الله
 عزّ وجلّ لها اذهبي بما لاشيء فلأنت أهون من أن أهبك لبعض أوليائي ، فتطوى كما يطوى الثوب
 الخلف فتلقى في النار . (وقال) إن أخوف ما أخاف عليكم إتيام الهوى وطول الأمل ، فأما إتيام الهوى
 فيضلّ عن الحق ، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة . (وقال) هاه ، هاه ، إن ههنا علماً - وهو يشير الى
 صدره - ولو أصبت له حمله .

(وكان) يخاطب الدنيا ويقول قد طلقتك ثلاثاً عمرُك قصير ومجلسك حقير وخطرُك كثير أه ، أه من
 قلة الزاد وبعْد السفر ووحشة الطريق .

(وقال) لم يرضَ الحقّ من أهل القرآن الإدهان في دينه والسكوتُ عن معاصيه . (وقال) ما نلتَ من دنياك فلا تكثرث فيه فرحاً وما فاتك منها فلا تبتئس عليه حزناً وليكن همكُ فيها الموت . (وقال) أشدُّ الأعمال ثلاث : إعطاء الحقّ من نفسك وذكرُ الله على كلّ حال ومواساة الإخوان من المال .

(وقال أبو عبيدة في كتاب الأمثال) ارتجل عليّ كرمُ الله وجهه تسم كلمات : قطع الأطماع عن اللحاف بواحدة منهنّ ثلاث في المناجاة وثلاثاً في العلم وثلاثاً في الأدب . فأما التي في المناجاة فقولُه "كفاني عزّاً أن تكونَ لي ربّاً وكفاني فخراً أن أكونَ لك عبداً أنتَ لي كما أحبُّ فوقني لما تُحبُّ" . وأما التي في العلم فقولُه "المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه تكلموا تُعرفوا ، ماضام امرؤُ عرفَ قدره" . وأما التي في الأدب فقولُه "انعم على من شئتَ تكُنْ أميره ، واستغنِ عمن شئتَ تكُنْ نظيره ، واحتجْ الي من شئتَ تكُنْ أسيره" . وخطبهُ وكلامه أفرد بعدة أسفارٍ كبار .

(وأما ما نقلَ عنه) من التقلُّم والتزهّد وأشتهر به من الترهّب والتعبّد فكثير . وقد قيل التصوّف السلوُّ عن الإعراض بالسموِّ الى الأغراض . (جاءه ابن التيّام) فقال : يا أمير المؤمنين إمتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء . فقال : الله أكبر - فنادى في الناس ففرّق جميع ما فيه وهو يقول - يا صفراء ويا بيضاء غريّ غيري هاء وهاء... حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه وصلّى فيه ركعتين .

ومابنى لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة . وكان يلبسُ أزاراً غليظاً أسود بخمسة دراهم . وكان يرقم قميصه فقيل : يا أمير المؤمنين لمَ هذا ؟ فقال : يُخشمُ القلب ويقتدي به المؤمن .

ودخل يوماً السوق فقال من عنده قميص بثلاثة دراهم ؟ فقال له رجل عندي . فأتاه فأعطاه فلبسه فبأذا به يفصل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع . وباع سيفه في ثمن أزار وقال والله لو كان عندي مابعتَه فطالما كشفت به الكرب عن المصطفى صلى الله عليه وسلم . ودخل سيدنا ضرار على سيدنا معاوية رضي الله عنهما فقال : صف لي علياً . فقال : أو تعفيني ؟ قال : لا . قال : أما إذا كان ولا بُد ، فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقولُ فصلاً ويحكمُ عدلاً يتفجرُ العلم من جوانبه وتنطقُ الحكمة من نواحيه يستوحشُ من الدنيا وزهرتها ويأنسُ بالليل وظلمته غزير العبرة طويل الفكرة ، يقلّب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما حشنت ، يُعظّم أهل الدين ويحبُّ المساكين . لا يطعمُ القويُّ في باطله ولا يبيأسُ الضعيف من عدله .

(وكان) أتى رضي الله عنه بفالودج فوضِع بين يديه ، فقال : إنك طيب الرائحة حسن اللون طيب الطعم غير أنّي لأعود نفسي ما لم تهتدهُ وردّه ولم يأكل منه شيئاً . ولم يأكل طعاماً منذ قُتل عثمان ونُهبت الدار إلا مختوماً حذراً من الشبهة . (وكان) قوتهُ وكسوتهُ مما يؤتى به من المدينة ولم يأكل من طعام العراق إلا قليلاً . (وكان) يبردُ في الشتاء ترتعدُ أعضاؤه ، فقيل له ألا تأخذ لك من كساء بيت المال فإنه واسع ؟ فقال لأنقصُ المسلمين من بيت مالهم شيئاً ، وكان يحاسب نفسه على كلّ شيء .

ونختم ترجمة هذا الإمام بخبر رواه بعض الأعلام وهو ما خرجه الحافظ أبو نعيم بسند قويّ جداً عن خديفة مرفوعاً "من سرّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويتمسك بالقصبة الياقوتية التي خلقها الله بيده ثم قال لها كوني فكانت فليتولّ علي بن أبي طالب . إنتهى" .

(أقول) ورأيت من شرم رسالة سلسلة الذهب للشيخ محمد مراد الأزبكي في الطريقة العلية

النقشبندية أنه : وُلِدَ في جوف بيت اللّهُ الحرام ، وقيل لم يتيسر ذلك لأحد قبله ولا بعده ، وذلك ليلة الأحد في الثالث والعشرين من شهر رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل ، إنتهى . وقد عَمَّ السنة والشهر واللييلة التي قُتِلَ فيها ، ولَمَّا خرج لصلاة الصبح صامَ الإوزُ في وجهه فطُرِدَ عنه . فقال :
- دعوهنَّ فأنهتَّ نوائح .

(قَتَلَهُ رضي الله عنه) عبدالرحمن بن ملجم في رمضان سنة أربعين وقد نَيَّفَ علي السنين . وقد ذكروا لقتله أسباباً منها أن ابن ملجم عشقَ امرأةً من الخوارج يُقال لها (قطام) فأصدقها ثلاثة آلاف وقتل علي وفي ذلك قال الفرزدق شعراً :

فَلَمْ أَرِ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةِ كَمَهْرِ قِطَامٍ بَيْنَ غَيْرِ مُعْجَمِ
ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَعَبْدٌ وَقَسِينَةٌ وَضُرِبَ عَلِيٌّ بِالْحَسَامِ الْمُصَمِّمِ
فَلَا مَهْرٌ أَعْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتَكٌ إِلَّا دُونَ فَتَكِ ابْنِ مُلْجَمِ

(خرج) علي ينادي لصلاة الصبح أيها الناس فاعترضه ابن ملجم فضربه بسيف فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه ، فشَدَّ عليه الناس فأمسك وأوثقَ وذلك في صبح الجمعة . فأقام علي الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ودُفِنَ بقصر الإمارة بالكوفة ليلاً على أحد الأقول ثم قُطعت أطراف ابن ملجم وجُعِلَ في قوصرة وأُحرقَ بالنار .

(وأقول) ونقل العلامة الشيخ محمد بن الحسن بن عبدالله الحسيني في "مجمع الأحياب" عن ابن سعد :
"قال أهل السير أنتدب ثلاثة من الخوارج عبدالرحمن بن ملجم المرادي وهو من حمير وعاداه في بني مراد وهو حليف ابن صلّة من كنده ، والبرك بن عبدالله التميمي ، وعمرو بن بكر التميمي . فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا ليقتلوا علي بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص . فقال ابن ملجم أنا لعلي وقال البرك أنا لمعاوية وقال الآخر أنا لعمر . وتعاهدوا أن لا يرجع أحد منهم حتى يقتله أو يموت دونه وتواعدوا ليلة سابع عشر من رمضان ، فتوجه كل واحد الى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريد قتله . فضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه في اللييلة المذكورة ليلة الجمعة ، ثم توفي علي رضي الله عنه في الكوفة ليلة الأحد تاسع عشر رمضان سنة أربعين . إنتهى ."

ونقل في "العقد الفريد" عن التميمي بإسناد له قال :

"لما تواعد ابن ملجم وصاحبا به بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص دخل ابن ملجم المسجد في فروغ الفجر الأول ، فدخل في الصلاة تطوعاً ثم افتتح في القراءة وجعل يكرر هذه الآية (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) . فأقبل علي رضي الله عنه بيده مخففة وهو يوقظ الناس للصلاة ويقول أيها الناس الصلاة الصلاة . فمر بابن ملجم وهو يردد هذه الآية . فظن علي أنه ينسى فيها ففتح علي فقال (والله رؤوف بالعباد) ، ثم إنصرف علي وهو يريد أن يدخل الدار ، فأتبعه فضربه على قرنه ووقع السيف في الجدار فأطار قدرة من آخره . فابتدره الناس فأخذوه فوقم السيف منه فجعل يقول أيها الناس إحدروا السيف فإنه مسموم . قال فأتي به علي ، فقال : "أحيسوه ثلاثاً وأطعموه واسقوه فإن أعش أرى فيه رأيي وإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به" .

فمات من تلك الضربة ، فأخذه عبدالله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع ثم أراد قطع لسانه ففزع ، فتيك له : لم لم تفزع لقطع يديك ورجليك وفزع لقطع لسانك ؟ قال : إنني أكره أن تمر

بي ساعة لأذكرُ الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقه .
وتوجَّه الخارجيُّ الآخر الى معاوية فلم يجد اليه سبيلاً وتوجَّه الثالث الى عمرو بن العاص فوجده قد
أغفل تلك الليلة فلم يخرج الى الصلاة وقَدَّمَ مكانه رجلاً يُقال له خارِجة . فضربه الخارجيُّ بالسيف
وهو يظنُّه عمرو بن العاص فقتله . فأخذَه الناس فقالوا : قتلت خارِجة . قال : أوليسَ عمراً ؟ قالوا له
لا . قال : أردتُ عمرواً وأراد الله خارِجة .
قال في "مجمع الأحاب" رأيت في بعض التصانيف أن أحد الفضلاء نظم قصيدة ذكر فيها جماعة من
الإسلام فمنها :

وخضبتُ شَيْبَ عَثْمَانَ دماً وخطتُ الى الزبير ولم تستحي من عمرٍ
وليئتها إذ فدتُ عمراً بخارِجة فدت علياً بمن شاءت من البرِ
(ورويانا) أنه لما ضربه ابن ملجم قال فُزْتُ وربَّ الكعبة . قالوا ولما فرغ علي من وصيته قال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ثم لم يتكلم إلا كلمة الشهادة لآله إلا الله حتى توفي ودُفِن بالكوفة . (قال أبو
بكر بن عياش) عُمِّي قبر علي لئلا تنبشهُ الخوارج . (وقال شريك) نقله ابنه الحسن الى المدينة . (وقال
المبرد) عن محمد بن حبيب : "أول من حوّل من قبر الى قبر علي رضي الله عنه حملوه ليدفنوه مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هم في مسيرهم ليلاً إذ ندَّ البعير الذي هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم
يُقدِّر عليه" . قال : "فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب" . وقال غيره إن البعير وقع في بلاد طيء
فأخذوه فدفنوه . وكان له حين قتل ثلاث أو أربع أو خمس وستون وقيل سبعم أو ثمان وخمسون سنة وكان
له تسع عشر سرية .

قال ابن تقيية : "ولعلي من الأولاد الحسن والحسين ومحمد وأم كلثوم وزينب الكبرى من فاطمة . وله
من غيرها أولاد كثيرون . انتهى" . وله رضي الله عنه نظم كلُّه حكيم وعلم ، فمن ذلك ما خرج عن حمزة بن
حبيب الزيات قال : كان علي رضي الله عنه يقول :

لأثفش ســـــــرك إلا إليك فإني لكل نصيـم نصيحاً
فإني رأيت غـواة الرجال لا يدعون أديماً صحيحاً

وأخرج عن نبيط الأشجعي عنه رضي الله عنه أنه كان يقول :

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق بها الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكاره وإطمأنت وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم يرْ لِنكشاف الضُرِّ وجهٌ ولاغنى بحيلته الأريبُ
أتاك علي قنوط منك غوثٌ يجيء به القريب المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول به الفرَجُ قريبُ

وأخرج عن المبرد كان مكتوباً على سيف علي بن أبي طالب :

للناس حرصٌ على الدنيا وتديبيرٌ وصَفوها لك ممزوج بتكديرٍ
لم يرزقوها بعقب بعدما قُسمت لكنهم رزقوها بالمقاديرِ
كم من أديبٍ لبيبٍ لاتساعده وأحمق ناك دنياه بتقصيرِ
لو كان عن قنوة أو عن مغالبة طار البُرْاة بأرزاق العصافيرِ

وقال رضي الله عنه :

وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وداؤك منك وتستخبر
بأحرفه قد طوى المضمير
وفيك انطوى العالم الأكبر

ويكفي المرء من دنياه قوت
وحرص ليس تدركه النعوت
الى قوم كلامهم السكوت
فقال رضي الله عنه :

إن أخاك الحقّ من كان معك
ومن إذا ريب الزمان صدّك

ومما يعزى له أيضاً من قصيدة طويلة :

دواؤك فيك ولا تشمر
وأنت الكتاب المبين الذي
وتزعم أنك جرّم صغير

ومنه أيضاً :

حقيقاً بالتواضع من يموت
فمال المرء يصبح ذا هموم
فيا هذا سترحل عما قريب

ولمّا إنتقل الى الفردوس الأعلى رثاه أبو الأسود الدؤلي فقال رضي الله عنه :

ألا تبكي أميبر المؤمنيننا
بعبرتها وقد رأت اليقيننا
فلا قررت عيون الحاسديننا
بخير الناس طراً أجمعيننا
وذللها ومن ركب السفيننا
ومن قرأ المثاني والمئيننا
وحسب رسول رب العالميننا
بانك خيرهم حسباً وديننا
رأيت البدر فوق الناظريننا
نرى مولى رسول الله فينا
ويعدك في العدا والأقربيننا
ولم يخالفك من المتكبريننا
نعام حار في بلد سنيننا

ألا ياعين ويحك أسعدينا
وتبكي أم كلاً ثوم عليه
الأقل للخوارم حيث كانوا
أفي شهر الصيام فجمعتمونا
قتلتم خير من ركب المطايا
ومن لبس النعال وحذاها
وكل مناقب الخير فيه
لقد علمت قريش حيث كانت
إذا استقبلت وجه أبي حسين
وكنّا قبل مقتلهم بخير
يقيم الحق ولا يرتاب فيه
وليس بكاتم علماً لديه
كأن الناس إذ فقدوا علياً
فلاتشمت معاوية بن صخر

ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه جم غفير من الصحابة والتابعين أعظمهم سيد هذه السلسلة
الجليلة شبله سيدنا الحسين رضي الله عنهم أجمعيت .

سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما

حسبُ البراعة في مقام البراعة بالثناء على هذا السيد الجليل والسيب السليل الإمام أن جدّه فخر العالم صلى الله عليه وسلم قال في حقّه : "حَسْبُ مَنِّي وَأَنَا مِنْهُ اللَّهُمَّ أَحَبُّ مَنْ أَحَبَّ حَسِينًا ، حَسِينٌ سَبِطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ" رواه الحاكم عن يعلى العامريّ وصححه . (وجلس) صلى الله عليه وسلم يوماً في المسجد واحتبى ثم قال لأبي هريرة أدمُ لي (لُكَّام) فأتى بحسين يشدّ حتى وقع في حجره ثم أدخل يده في لحيته فجعل المصطفى صلى الله عليه وسلم يفتّم ثم الحسين ويدخل فاه في فيه ويقول : "اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَجِبْهُ" رواه الحاكم .

وُلِدَ الحسِينُ رضي الله عنه سنة أربع أو ست أو سبع وقيل لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طمراً واحداً ، وكان شجاعاً مقداماً من حيث كان طفلاً . أتى عمر وهو يخطب على المنبر ، فصعد إليه ، فقال : إنزل عن منبر أبي وإذهب إلى منبر أبيك .

فقال عمر : لم يكن لأبي منبر .

وأخذه فأجلسه معه وقال له : مَنْ عَلَّمَكَ ؟

فقال : واللّه ما علمني أحد .

(وكان) ابن عمر جالساً في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مُقبلاً فقال : "هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم" . وكانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه مشاهدته وبقي معه إلى أن قُتِلَ ثُمَّ مع أخيه حتى انفصل فرجع للمدينة واستمر بها حتى توفي معاوية . فأخرج يزيد إليه يريد من يأخذ بيعته فامتنع وخرج إلى مكة فأتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية . فأشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمه بدمع . فأرسل ابن عمه مسلم بن عتيق فأخذ بيعتهم وأرسل إليه يستقدمه . فخرج الحسين من مكة قاصداً العراق ولم يعلم بخروجه ابن عمر ، فخرج خلفه فأدركه على ميلين من مكة ، فقال :

- إني محدّثك حديثاً إن جبريك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة وإنك بضعة منه والله لا يليها أحدٌ منك .

فقال : إن معي حملين من كتب أهل العراق ببيعتهم .

فقال : ماتنم بقوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك .

فأبى إلا المضي فاعتنقه وبكى ، وقال : أستودعك الله من قتيل .

ثم سافر فكان ابن عمر يقول : "غَلَبْنَا حَسِينًا بالخروج ولعمري لقد رأى في أخيه والله عبرة" . وكلمه في ذلك وجوه الصحابة جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد وغيرهم . فلم يطعم أحداً منهم وصم على المسير . فقال له ابن عباس : واللّه إنني لأظنك ستقتل بين نساءك وأبنائك وبناتك كما قُتِلَ عثمان .

فلم يقبل . فبكى ابن عباس وقال : أقررت عين ابن الزبير .

فلما رأى ابن عباس ابن الزبير قال له : قد جاء ما حببت هذا الحسين خرج وتركك والحجاز .

فَعَلِمَ يَزِيدٌ بِخُرُوجِهِ فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَالِيهِ عَلَى الْكُوفَةِ بِأَمْرِهِ بِطَلْبِ مُسْلِمٍ وَقَتْلِهِ . فَظَفَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ . وَلَمْ يُبَلِّغْ ذَلِكَ حَسِينًا حَتَّى صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ ، فَلَقِيَهُ الرَّبُّ بْنُ زَيْدِ التَّمِيمِيِّ فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ فَبَنِي لَمْ أَدَمْ لَكَ خَلْفِي خَيْرًا . وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ . وَلَقِيَ الْفَرَزْدَقَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : قُلُوبَ النَّاسِ مَعَكَ وَسَيُفْهِمُ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ .

فَهَمَّ أَنْ يَرْجِعَ وَكَانَ مَعَهُ أَخُوهُ مُسْلِمٌ فَقَالُوا لِأَنْرَجِعَ حَتَّى نَصِيبَ بَنِيهِ أَوْ نُقْتَلَ . فَسَارُوا وَكَانَ ابْنُ زِيَادٍ جَهْزَ جَيْشًا قُوَامَهُ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ وَقِيلَ عَشْرُونَ أَلْفًا لِمَلَقَاتِهِ . فَوَافَوْهُ بِكَرْبَلَاءَ فَنَزَلَ وَمَعَهُ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ فَارِسًا وَنَحْوَ مِائَةِ رَاجِلٍ وَلَقِيَهُ الْجَيْشُ وَأَمِيرُهُمْ عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ . وَكَانَ ابْنُ زِيَادٍ وَوَلَاهُ الرَّيَّ وَكَتَبَ لَهُ بِعَهْدِهِ عَلَيْهَا ابْنَ حَارِبِ الْحَسِينِ . وَرَجِعَ فَلَمَّا إلتَقِيَا وَأَرْهَقَهُ السَّلَامُ قَالَ لَهُ الْحَسِينُ إِخْتَرْ مَنِّي ثَلَاثًا إِمَّا أَنْ أَلْحَقَ بِثَغْرِ مِنَ الثَّغُورِ وَإِمَّا أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِمَّا أَنْ أَضْمَ يَدِي فِي يَدِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ . فَقَبِلَ ذَلِكَ عَمْرُو مِنْهُ وَكَتَبَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ . فَكَتَبَ هَذَا إِلَيْهِ لِأَقْبَلَ مِنْهُ حَتَّى يَضْمَعَ يَدَهُ فِي يَدِي فَاِمْتَنَمَ الْحَسِينُ . فَتَاهَبُوا لِقَاتِهِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَقَاتَلَتِهِ الْكَاتِبِينَ إِلَيْهِ وَالْمَبَايِعِينَ لَهُ . فَلَمَّا أَيَقُنَ أَنَّهُمْ قَاتَلُوهُ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ خَطِيبًا . فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

"قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَإِنشَمَرَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ وَالْأَخْسِيسِ عَيْشَ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ . أَلَا تَرَوْنَ الْحَقَّ لَايُعْمَلُ بِهِ وَالْبَاطِلَ لَايُتَنَاهَى عَنْهُ ، لِيَرْغَبَ الْمَرْءُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ فَبَنِي لِأَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةَ وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا حَرَامًا" .

فَقَاتَلُوهُ فَكَانَ آخِرَ الْأَمْرِ أَنْ قُتِلَ وَقَتَلَ مَعَهُ سَبْعَةٌ عَشَرَ شَابًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَذَلِكَ بِكَرْبَلَاءَ كَمَا فِي خَبَرِ رِوَاةِ الطَّبْرَانِيِّ . (فَبَانَ قَلْتُ) يِنَافِيهِ مَاوَرِدُ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ : "أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ الْحَسِينَ يُقْتَلُ بَعْدِي بِأَرْضِ الطُّفِّ وَجَاءَنِي جَبْرِيلُ بِهَذِهِ التَّرْبَةِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهَا مَضْجَعَهُ" . وَمَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : "دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانُ فَسَأَلْتَهُ ، فَقَالَ أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ حَسِينًا يُقْتَلُ بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ" . (قَلْتُ) لِاتَّعَارُضُ لِأَنَّ الْفَرَاتَ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ حُدُودِ الرُّومِ ثُمَّ يَمُرُّ بِأَرْضِ الطُّفِّ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ كَرْبَلَاءَ ، فَالْتِمَامُ الْكَلَامِ وَإِسْتِقَامُ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ .

وَلَمَّا قَتَلُوهُ حَزَنُوا رَأْسَهُ ثُمَّ أَتَوْا بِهِ ابْنَ زِيَادٍ فَأَرْسَلَهُ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى يَزِيدٍ وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ كَانَ مَرِيضًا وَعَمَّتَهُ زَيْنَبٌ . فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى يَزِيدٍ سَرَّ سُرُورًا كَبِيرًا وَأَوْقَفَهُمْ مَوْقِفَ السَّبِيِّ بِبَابِ الْمَسْجِدِ وَأَهَانَهُمْ وَبَالَغَ . وَلَمَّا وَضَعُوا الرَّأْسَ الشَّرِيفَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَارَ يَضْرِبُ عَلَى ثَنَائِيهِ بِقَضِيبٍ كَانَ مَعَهُ وَيَقُولُ : "لَقَدْ لَقِيْتُ بِغَيْكَ يَا حَسِينُ" وَبَالَغَ فِي الْفَرَحِ ثُمَّ نَدِمَ لَمَّا مَقَّتَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَبْغَضَهُ الْعَالَمُ . (قَالَ جَلَالُ السَّبُوطِيِّ) وَحَقًّا لَهُمْ أَنْ يَبْغُضُوهُ .

(وَقَدْ أَخْرَجَ) أَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَرْفُوعًا : "لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِمًا بِالْقِسْطِ حَتَّى يَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَثْلُمُهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ يَزِيدٌ" . (وَأَخْرَجَ الرَّوْيَانِيُّ) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَرْفُوعًا : "أَوَّلُ مَنْ يَبْجَلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ يَزِيدٌ" .

(وَقَدْ صَنَّفَ) جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَدَمَاءِ فِي مَقْتَلِهِ تَصَانِيفَ فِيهَا الْغَثُّ وَالسَّمِينُ وَالصَّحِيمُ وَالسَّقِيمُ وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُسَاقَاةَ غَنِي ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ إِبْرَاهِيمِ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : "لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ قَاتَلَ الْحَسِينَ ثُمَّ أَدَخَلْتُ

الجنة لأستحييتُ أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم" . (وقال) ابن عباس : " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار أشعثاً أغبرَ بيده قارورة فيها دم . فقلتُ يارسول الله ما هذا ؟ قال دم الحسين وصحبه ولم أزل ألتقطه منذ اليوم . فكان ذلك اليوم الذي قُتلَ فيه" رواه البيهقي . (وسمعتُ) الجنُّ تنوم عليه كما أخرج أبو نعيم وغيره .

وقُتلَ يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين وكُسِفَتِ الشمس وقت قتلهم كسفةً أبدت الكواكب نصف النهار واحمرت أفاق السماء ستة أشهر يرى فيها كالدَّم ، ومكثت الدنيا سبعة أيام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المَعْصِفَةَ والكواكب يضرب بعضها بعضاً . وقيل أنه لم يُقلب حجر ببيت المقدس إلا وُجدَ تحته دم عبيط . وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ، ونحروا ناقه في عسكرهم فصاروا يرون فيها النيران وطبخوها فصار كالعلقم . ولما ساروا الى ابن معاوية قعدوا في أول مرحلة يشربون الخمر فخرج عليهم قلم حديد من حائط وكتب بدم :

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعته جدّه يوم الحساب

ثم أن ابن معاوية أمر بردَ أهل الحسين الى المدينة وأن يُصاف برأسه الشريف في البلاد . (وروى) ابن خالويه عن الأعمش عن منهل بن عمرو الأسدي قال : " والله رأيت رأس الحسين حين حمله وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) فنطق الرأس بلسان عربي فصيح فقال جهاراً "أعجب من أصحاب الكهف قتلى وحملى" . (وأخرج) الحاكم في "المستدرک" عن ابن عباس : "أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم اني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً واني قتلتُ بابنِ إبنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً صححه الحاكم وقال الذهبي في "التلخيص على شرط مسلم" . وقال الحافظ ابن حجر وورد من طريق واه عن علي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : "قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا" .

(وإعلم) أنهم اختلفوا في رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفي أي موضع استقر . فذهب طائفة الى أنه طيف به في البلاد الى أن انتهى الى عسقلان فدُفِنه أميره بها . فلما غلب الفرنج على عسقلان إفتداهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيك ومشى الى لقائها من عدة مراحل ثم بنى عليها المشهد المعروف بالقاهرة . والى ذلك أشار القاضي الفاضل في قصيدة مدم بها الصالح وصار آخرون منهم كالزبير بن بكار والعلاء الهمداني الى أنه حمل الى المدينة مع أصله فكُفِنَ ودُفِنَ بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الإمامية الى أنه أُعيد الى الجثة ودفن بكريلاء بعد أربعين يوماً من المقتل . ورجم القرطبي القول الثاني قائلاً : " ما دُكر من أنه في عسقلان في مشهد هناك أو بالقاهرة باطلٌ لأساس له . انتهى" .

والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهري . يقول العارف المناوي قدس الله سره : "لكن ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له إطلاع على أنه دُفن مع الرأس بكريلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري ، لأن حكم باب البرزخ حكم الإنسان الذي تدل في تيار جارٍ فيطفو بعد ذلك في مكان آخر . فلما كان الرأس منفصلاً طفا في هذا المحل من المشهد الحسيني المصري" . وذكر أنه خاطبه منه (وذكر بعضهم) أن القطب يزوره كل يوم .

(ومن كلام الحسين رضي الله عنه) إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقماً .

(وقال) من جاد سادَ ومن بخلَ رذلَ ومن تعجَلَ لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه رعداً .
 (والترزم) يوماً الركن الأسود وقال "إلهي نَعَمْتَنِي فلم تجدني شاكراً وأبليتني فلم تجدني صابراً فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا دمت الشدة بترك الصبر إلهي لا يكون من الكريم إلا الكرم".
 (وأخرج) ابن عساكر أن ابن عباس بينما يحدث الناس قام إليه نافع الأزرق وقال : تُفتي الناس في النملة والقملة صف إلهك الذي تُعبد .
 فأطرق إعظماً لقوله وكان الحسين جالساً ناحية فقال :
 إلي يا ابن الأزرق . قال : لست إياك بسائل . فقال ابن عباس : إنه من بيت النبوة وهم ورثة العلم .
 فأقبل نافع نحو الحسين . فقال الحسين : فقال الحسين :

- يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس سائلاً ناكباً عن المنهاج طاغياً بالإعوجاج ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل . أصفُ لك إلهي بما وصف به نفسه وأعرّفه بما عرّف به نفسه : لا يدرك بالحواس ولا يُقاسُ بالناس قريبٌ غير ملتصق بعيد غير منتقص يوحد ولا يبعضُ معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال . انتهى .

(وحجّ رضي الله عنه) خمساً وعشرين حجة ماشياً والجنائب تُقاد بين يديه . وفي "العقد الفريد" عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغيراً إلا هم . (وقيل لعلي بن الحسين) "ما كان أقلّ ولد أبيك ، قال العجب كيف وُلدت له ، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء" . وقُتل وهو ابن ست وخمسين سنة وهو صابغ بالسواد قتله سنات بن أبي أنس وأجهز عليه خولة بن يزيد الأصبحي من حمير وحز رأسه وأتى به عبيد بن زياد وهو يقول :

إملاً ركا بي فضضةً وذهباً إنني قتلتُ الملكَ المحبباً
 قتلتُ خير الناس أمأً وأباً وخيرهم إذ يُذكرون نَسباً

فقال عبدالله بن زياد :

- إذا كان خير الناس أمأً وأباً وخير عباد الله فلمَ قتلتهُ ؟ قدّموه فاضربوا عنقه . فضرِبَت عنقه .
 (قال أبو عبيد) حدّثنا حجاج عن أبي معشر قال : "قُتل الحسين بن عليّ ومعه عثمان ابن عليّ وأبو بكر ابن عليّ وجعفر بن عليّ وعليّ والعباس وكانت أمهم أم البنين بنت حرام الكاذبية وإبراهيم بن عليّ لأم ولد له وعبدالله بن حسن وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب وعون ومحمد إبن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وثلاثة من بني هاشم . فجميعهم سبعة عشر رجلاً وأسر اثنا عشر غلاماً من بني هاشم فيهم محمد بن الحسين وفاطمة بنت الحسين فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلّهم الله ملكهم . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين يوم أصيب معه :

عيني إبي بعبرةٍ وعويل وأندبني إن نديت آل الرسول
 ستة كُلم لصلب عليّ قد أصيبوا وخمسة لعقيل

وأنشدت أخته زينب المدفونة في قناطر السباع من مصر العتيق ورأسها خارجة من الخباء :

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتمم آخر الأمم
 بعترتي وباهلي بعد مُفتّدي منهم أسارى ومنهم ضُمخ بدم
 ما كان هذا جزائي إذ نصحتكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي

(قلتُ) وقوله "المدفونة في قناطر السبام" نقل هذه القصة العارف الشعراني وأمر الإمام المناوي قدّس
الله سرهما بأن تُحررَ فلتُحررَ . ورُزِقَ من الأولاد خمسة عليّ الأكبر وعليّ الأصغر وله العقب وجعفر وفاطمة
وسكينة المدفونة بالمرآغة بقرب سيدتنا نفيسة رضي الله عنهم ، ثم سرى هذه النسبة الشريفة عنه الى
ولده سيّدنا زين العابدين عليّ الأصغر رضي الله عنه .

سيدنا زين العابدين

رضي الله عنه

مُظهِر شمس النبوة الخاتمية ومُظهِر أسرار الصفة العلية وكوثر زلال المكارم الهاشمية سيدنا علي زين العابدين المعروف بالأصغر للفرق بينه وبين أخيه الأكبر الذي سقاه أهل المكر والبلاء كأس الشهادة مع أبيه في كربلاء . ولم يُقتل والحمد لله يومها هذا الإمام الجليل إذ كان عمره ثلاثة عشر عاماً وهو عليه وكنيته رضي الله عنه أبو الحسن وأبو محمد وأبو عبد الله . وكان كبير القدر رحب الساحة مُهاباً كريماً عالماً عظيماً ثقةً ثباتاً قوياً .

(قال الزهري وابن عيينة) مارأينا قرشياً أفضل منه وروى عن أبيه وعن عائشة وأبي هريرة وجمع ، وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهري وأبو الزناد وغيرهم . قال الزهري مارأينا أحداً أفقه منه . وقال ابن المسيب مارأيت أروع منه ، وقد جاء عنه مناقب من خشوعه في وضوئه وصلاته ونُسك ما يدهش السامع . (وكان) يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة حتى مات . وقال مالك : "وَسُمِّيَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ لِكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ" . (وكان) إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه ، ووقع حريقاً في بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له النار فما رفع رأسه حتى طفئت . ففكيف له أشعرت ؟ قال المهتني عنها النار الكبرى . (وكان) إذا نقصه أحد قال اللهم إن كان صادقاً فباغفر لي وإن كان كاذباً فباغفر له . ولما مات وجدوه يقوت أهل مائة بيت . (ودخل) على محمد بن أسامة بن زيد في مرض موته فبكى ، فقال له علي :

- مايبكيك ؟

فقال : عليّ دينٌ خمسة عشر ألف دينار .

فقال : هي عليّ . ووقأها .

(ومن كراماته) أن زيداُ ابنه إستشاره في الخروج فنهاه ، وقال :

- أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفيناني إلا قُتل . فكان كما قال ، خرج زيد في خمسة عشر ألفاً فطلب فتفرقوا عنه فقتله الحجاج وصلبه مكشوف العورة ، فأكرمه الله بأن نسجت العنكبوت عليهما فلم تُر بعد ذلك . (ومن كرامات زين العابدين رضي الله عنه) أن عبد الملك بن مروان حمله من المدينة مقيداً مغلولاً في أثقل قيود ، فدخل عليه الزهري لوداعه فبكى وقال : وددت أني في مكانك .

فقال : أتظن أن ذلك يُكريني لو شئت لما كان وإنه ليذكرني عذاب الله - ثم أخرج رجليه من القيود ويديه من الغلّ ورماهما ثم أعادهما .

(وكان) يُضرب به لمثل في الحُلم وله فيه حكايات عجيبة وأخبار غريبة . (وكان) شديد الخوف من الله بحيث إذا توضع إصفر لونه وارتعد فيقال له ما هذا ؟ فيقول تدرون بين يدي من أقوم . (وكان) لا يعينه على ظهوره أحد ولا يدم قيام الليل حضراً ولا سافراً . وقُرب اليه طهوره مرة في وقت وردّه فوضع يده في الإناء ليتوضأ ثم رفع رأسه فنظر الى السماء والقمر والكواكب ، فجعل يتفكر في خلقها حتى أصبح وأذن المؤذن ويده في الإناء فلم يشعر .

(ومن كلامه) إذا نصم العبد لله في سره أطلع الله على مساوي عمله فتشاغل بذنوبه عن معائب الناس . (وقال) فقد الأحيّة غربة وعبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفاً ولا رغبة . (وقال) كيف يكون صاحبك من إذا فتحت كيسه فأخذت منه حاجتك لم ينشرم لذلك . (وقال) أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب . (وقال) إن قوماً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وأخرون رغبة فتلك عبادة التجار وقوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار . (وقال) عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نُطفةً وغداً جيفة ، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه ولمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى ولمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء . (وقال) لابنه الباقر لا تصحب خمسة ولا ترافقهم في طريقهم ، الفاسق فإنه يبيعك بأكلة فما دونها . وقيك فما دونها قال يطعم فيها ثم لا ينالها ، والبخيل لأنه يطعم بك أحوج ما تكون إليه والكذاب فإنه كالنسوان يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد وقاطع الرحم فإنه ملعون في ثلاث آيات من كتاب الله ، وكان ينشد :

وما شئني أحب إلى لنسيم إذا شتم الكريم من الجواب

وكان عاملاً على كتمان أسرار الله في العالم كما أشار إليه بقوله :

يارب جوهر علم لو أبوم به لقيك لي أنت ممن يعبد الوثنا
وإستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسناً

(ومن مبالغات حلمه) أنه خرج يوماً من المسجد فلقى رجلاً فسبّه وبالغ وأمرط . فبادر إليه العبيد

والموالي فكفهم وأقبل عليه فقال :

- ماستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك .

فأستحي الرجل فألقى له خميصة وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الرجل : أشهد إنك من أولاد المصطفى عليه الصلاة والسلام .

(ولقيه رجل) فسبّه ، فقال : يا هذا بيني وبين جئتم عقبة إن أنا جزتها فما أنا بأبالي بما قلت وإن لم أجزها فأننا أكثر مما تقول ألك حاجة . ففجح الرجل .

(وسبّه رجل) فقال له : ماتعرفه مني أكثر مما تعرفه فإن كان لك حاجة فأذكرها .

(قال في مجمع الأبياب) وكان عنده ضيف فاستعجل الخادم في الشواء الذي كان في التنور ، فأقبل به مسرعاً فسقط السفود من يده على ابن صغير له في أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله ، فقال علي للغلام الذي قتله أنت حر لوجه الله عز وجل فإنك لم تتعمده وأخذ في جهاز ابنه .

(وحج هشام بن عبد الملك) قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه وجاء علي بن الحسين ، فوقف له الناس وتنحوا حتى استلم فقال الناس لهشام من هذا ؟ قال لأعرفه . فقال له الفرزدق لكني أعرفه هذا علي بن الحسين وأنشد :

هذا التقى النقي الطاهر العليم
والبيت يعرفه والحل والحرم
ركن الحطيم إذا جاء يستلم
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
أو قبيك من خير أهل الأرض قبيك هم
بجده أنبياء الله قد ختموا

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
يكاد يمسكه عرفان راحته
إذا رأته قريش قال قائلها
إن عد أهل التقي كانوا أئمتهم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلهم

وليس قولك من هذا بضائره
يغضي حياءً ويغضي مهابةً
من معشر حبهم دين وبفضهم
لايستطيع جواد بعد غايتهم
من يعرف الدين يعرف أولوية ذا
العرب تعرف من أنكرت والعجم
فلا يكلم إلا حين يتسم
كفر وقربهم ملجا ومعتصم
ولايدانيهم قوم وإن كرموا
الدين من بيت هذا ناله الأمم

(وكان يقول) اللهم اني أعوذ بك أن تحسن في لواجم العيون علانيتي وتقبح في خفيات الغيوب سريرتي ، اللهم كما أسأت وأحسنت الي فاذا عدت فعد علي . وفي (وفيات الأعيان لابن خلكان) أنه كان يقال لزین العابدين ابن الخیرتین لقوله صلى الله عليه وسلم : " لله تعالى من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس " . وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب "ربيع الأبرار" أن الصحابة رضي الله عنهم لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوق . فقال : كيف الطريق الى العمل معهن ؟ قال : يقومن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن .

فقومت فاخذت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدفعت واحدة لعبدالله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق . فأولد عبدالله أمته سالماً وأولد الحسين زين العابدين وأولد محمد ولده القاسم . فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأمهاتهم بنات يزدجرد . (وذكر) أن أم زين العابدين اسمها "سلافة" قلت وقيل "غزالة" بنت يزدجرد آخر ملوك فارس . وكان أهل المدينة يكرهون إتخاذ أمهات الأولاد من السراري حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله ، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري .

وفضائل الإمام زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصى . (قال الأصمعي) "لم يكن للحسين بن علي عقب إلا من ابنه علي بن الحسين زين العابدين . ولم يكن لعلي زين العابدين ولد إلا من أم عبدالله بنت عمه الحسن بن علي ابن أبي طالب ، فهو أب الحسيني كهم . قال ونسل الحسين كله من قبل علي الأصغر زين العابدين فهو أب الحسينيين كهم أيضاً" . (وكانت ولادته) يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل اثنين وتسعين للهجرة في المدينة المنورة . ودُفِنَ بالبقيع في قبر عمه الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في القبّة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم أجمعين ، إنتهى .

(قال العارف المناوي قدس سره) كذا رأيته بخط جماعة أعيان منهم ابن رسلان والمشهد الذي بالقرب من مجرة القلعة بقرب مصر القديمة بُني على رأس زيد بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قدم برأسه سنة اثنين وعشرين ومائة وبنوا عليه هذا المشهد . قال بعضهم والدعاء عنده مستجاب والأنوار تُرى عليه رضي الله عنه . (قلت) وزيد هذا هو الذي تقدم أنه قتلته الحجاج وصلبه وما وقع للعارف الشعرائي قدس سره في طبقاته أنه من أتى برأس زين العابدين الى مصر ودُفِنَت بالقرب من مجرة الماء بمصر العتيقة وأنه توفي سنة تسع وتسعين سبقت قلم والله أعلم ، ثم سرى سر هذه النسبة الشريفة عنه الى شبلي سيد هذه السلسلة المجلّة الإمام محمد الباقر رضي الله عنهما .

سيدنا الإمام الباقر

رضي الله عنه

الإمام التابعي الجليل وإمامته المعدود من فقهاء المدينة وأئمتهم ستم جابر وأنساً ، وسمع جماعات من كبار التابعين كابن المسيب وابن الحنفية وغيرهم . وروى عنه أبو إسحق السبيعي وعطاء ابن أبي رباح وعمرو بن دينار والزهري وربيعه وخلأق آخرون من التابعين وكبار الأئمة وروى له البخاري ومسلم . سُميَ بالباقر لأنه بقر العلم أي شقّه أي عرف أصله وخفيّه وأثار مخبّاته ومكامله القدسية . فلذلك أظهر من كنوز المعارف ودقائق الأحكام واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة . ومن ثم قيل فيه باقر العلم وشاهر المجد ورافعه صفا قلبه وزكى عمله ولبه وعمرت بطاعة الله أوقاته ، وظهرت خوارقه وكراماته وله من الرسوم في مقام العارفين ما تكلم عنه ألسن الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف .

(فمن كلامه) الصواعق تصيب المؤمنين وغيره لاتصيب ذاك الله عز وجل . (وقال) مادخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل مادخل منه أو أكثر . (وقال) مامت عبادة أفضل من عفة بطن وفرج . (وقال) اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك . (وبلغه) عن جماعة من أهل العراق أنهم يبغضون أبا بكر وعمر ويزعمون أنهم يحبون آل البيت . فكتب إليهم إني بريء ممن يبغض أبا بكر وعمر ولو أني وليت لتقربت بدماء من يكرههم . (وكان) إذا ضحك قال اللهم لاتمقنتني . (وقال) لابنه يابني إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل شر ، فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

(وسأله رجل) عن تحلية السيوف فقال لا بأس بها قد حلّى أبو بكر الصديق . فقيل له :
- تقول الصديق ؟

فغضب ووثب وثبةً واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق من لم يقل له الصديق لاصدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة .

(وقال) الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل جعلاه وطناً .
(وقال جابر الجعفي) : قال لي محمد بن علي إني لمحزون وإني لمشتغل القلب . قلت :
- وما شغل قلبك وما حزنتك ؟

قال : يا جابر إن من دخل قلبه صافي خالص دين الله عز وجل شغله عما سواه . يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون هل هو إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر إن المؤمنين أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم معونة إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله تعالى قوامين بأمر الله تعالى ، فإنزل من الدنيا منزلاً نزلت فيه وارتحلت عنه كخيال أصبته في منامك فباستيقظت وليس معك منه شيء . فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته .

(قال) ما غرورقت عينٌ بمائها إلا حرم الله عز وجل صاحبها على النار وإن سألت على خذ له لم ير وجهه قتر ولا ذلة وما من شيء إلا له أجر إلا الدمعة ، فإن الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن باكياً بكى في

أمة لحرم الله تلك الأمة على النار . (وعن أفلم مولاة) قال : "خرجت مع محمد بن علي حاجاً فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته ، فقلتُ بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلورقت صوتك قليلاً . فقال ويحك يا أفلم ولم لأبكي لعلى الله تعالى ينظر إلي برحمته فأفوز بها عنده غداً . قال ثم طاف بالبيت ثم جاد حتى ركم عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من دموم عينيه" . (وعن عبدالله بن عطاء) قال ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر محمد فقد رأيت الحكم عنده وكأنه متعلم . (وقال) كان لي أخ في عيني عظيم والذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينيه . (وكان يقول في جوف الليل) اللهم إنك أمرتني فلم ألتزم وزجرتني فلم أنزجر وهذا عبدك بين يديك فبم أعتذر . (وقال) ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ، وما من شيء أحب إلى الله تعالى من أن يسأل ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء ، وإن أسرع الخير ثواباً البر وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً أن يرى من الناس ما يعمى عنه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه أن يؤدي جليسه بما لا يعنيه . (وعن سلمى مولاة أبي جعفر) قالت : "كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطيب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم . فأقول له بعض ماتصنم فيقول يا سلمى ما يؤمك في الدنيا بعد المعارف والإخوان" . وكلامه من هذا المنزعم كثير . (وكفاه شرفاً) أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير إن رسول الله يسلم عليك ، قال كيف ، قال كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة يقال ليقيم العباد فيقوم ولده ، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإذا أدركته فأقرئه مني السلام .

ومولده بالمدينة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة . وكان عمره يوم قُتل جده الحسين رضي الله عنه ثلاث سنين وأمه أم عبدالله بنت الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وتوفي في شهر ربيع الأول وقيل في صفر سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل أقل وقيل أكثر بالحميمة (بحاء مهملة وميمين بينهما ياء تحتية مصغرة) قرية في أطراف البلقاء من بلاد الشام كانت لعلي بن عبدالله بن العباس وأولاده في أيام بني أمية - وفيها ولد السفام والمنصور وبها تربيا ومنها إنتقلا إلى الكوفة وبويع السفام بالخلافة كما هو مشهور - ونُقل إلى المدينة ودُفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي رضي الله عنهم في القبّة التي فيها قبر العباس رضي الله عنهم ، ثم مات مسموماً كأبيه وأوصى أن يُكفّن في القميص الذي كان يصلي فيه رضي الله عنه ، ثم سرى سر هذه النسبة الشريفة إلى شبلة سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه .

الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

ناهيك بإمام ورث مقام النبوة والصدقية فازدهرت في طلعه أنوار المعارف الحقيقية لأن جدّه سيد الشهداء الإمام الحسين وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأما أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . أخذ الحديث عن أبيه وجدّه لأمه وعروة وعطاء ونافع والزهري . وعنه أخذ السفينان ومالك والقطن خرم له الجماعة سوى البخاري . قال أبو حاتم : "ثقة لا يسأل عن مثله" . وله كرامات كبيرة ومكاشفات شهيرة . (منها) أنه سعي به عند المنصور ، فلما حمّ أحضر الساعي وأحضره . فقال للساعي : أتخلف ؟ قال : نعم . فحلف ، فقال جعفر للمنصور : حلفه بما أراه . فقال حلفه ، فقال : قلّ برئت من حول الله وقوته وإلتجأت الى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا . فإمتنم الرجل ثم حلف فما تم حتى مات مكانه .

(ومنها) أن أحد الطغاة قتل مولاة فلم يزل ليلته يصلي ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الضجة بموته .

(ومنها) أنه لما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبي في عمّه زيد :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

قال : "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك" فافترسه الأسد .

(ومنها) ما خرجه الطبري من طريق وهب قال سمعت الليث بن سعد يقول : "حجبت ثلاث عشرة ومائة حجة فلما صليت العصر رقيت أبا قيس فإذا رجل جالس يدعو فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ثم قال يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال الهي إنني اشتهيت العنب فأطعمني وإن بردي قد خلقتا فاكسني . قال الليث فما تم كلامه حتى نظرت الى سلة مملوءة عنباً وليس على وجه الأرض يومئذ عنب وإذا ببردين لم أر مثلهما . فأراد الأكل فقلت : أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمّن . فقال : كل ولا تخبأ وتدخر . ثم دفع الي البردين . فقلت : لي عنه غني . فإتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ الخلعين ونزل . فلقية رجل فقال البسني يا ابن رسول الله فدفعهما إليه . فقلت : من هذا ؟ فقال : جعفر الصادق . قال الليث فطلبته لأسمع منه فلم أجده . إنتهى"

(ومنها) "أن ابن عمّه عبد الله بن المحصي كان شيخ بني هاشم وهو والد محمد وأخيه أرسلوا لجعفر ليبياعهما فإمتنم وقال : ليست لي ولا لهما إنها لصاحب القباء الأصفر يلعب بها صبيانه . وكان المنصور العباسي حاضراً وعليه ثياب أصفر فكان كذلك . إنتهى" .

وكان مجاب الدعوة فإذا سأله شيئاً لا يتم قوله إلا وهو بين يديه .

(ومن كلامه) لا يتم المعروف إلا بثلاث أن تصفره في عينك وتسئره وتعجله . (وقال) إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه . (وقال) لا مال أعوز من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالمشاوراة إلا وإن الله يقول إنني كريم ولا يجاورني لنيم . (وقال) من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك ، لأنه لو كان على شيء كان محمولاً أو في شيء كان محصوراً أو من شيء كان محدثاً .

(وكان) يلبس الجبة الغليظة القصيرة من الصوف على جسده والحلة من الخز على ظاهره ، ويقول نلبس الجبة لله والخز لكم فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه .

(وقال) لأبي حنيفة إنك تقيس في الدين وإن أول من قاس إبليس ، قال إنما أقيس فيما لم أجد فيه نصاً . (وقال) لاتأكلوا من يد جاعت ثم شبعتم . (وقال) إذا أذنبت فاستغفر فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال قبل أن يُخلقوا وإياك والإصرار . (وقال) أوحى الله الى الدنيا من خدمني فأخدميه ومَنْ لم يخدمني فاستخدميه . (وقال) لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود ولا خلة لبخيل ولا إخاء لملول ولا سؤدد لسيء الخلق . (وقال) كُفَّ عن محارم الله وإمتثل أوامرته تكن عابداً وأرض بما قسم الله تكن مسلماً ، وإصحب الناس على ماتحب أن يصحبوك تكن مؤمناً . ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره . (وقال) من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل المعصية الى عز الطاعة . (وقال) من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم . (وقال) حكمة تحريم الربا أن لا يطمأنم الناس بالمعروف . (وقال) مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ثابتة من قطعها قطعها الله . (وقال) عزت السلامة حتى لقد حفي مطلبها ، فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول ، فإن لم توجد فيه ففي التخلي . وليس كالخمول فإن لم تكن فيه ففي الصمت فإن لم تكن فيه ففي كلام السلف الصالح والسعيد من وجد نفسه في خلوة . (وقال) من استبطأ رزقه فليكثر من الإستغفار . (وقال) من أعجب بشيء من أمواله فليقل ماشاء الله لا قوة إلا بالله . (وقال) الفقهاء أمناء الرسل مالم يأتوا أبواب السلاطين .

ومن دعائه : اللهم أعزني بطاعتك ولاتذلني بمعصيتك ، اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقك بما وسعت عليه من فضلك . (وقال) لا زاد كالتقوى .

(وقال مضر بن كثير) : " دخلت أنا وسفیان الثوري على جعفر الصادق فقلت :

- اني أريد البيت الحرام فعلمني شيئاً أدمو به .

فقال : إذا بلغت الحرم فضع يدك على الحائط وقل ياسابق الفوت وياسامع الصوت وياكاسي العظام بعد الموت ثم أدم بما شئت . إنتهى " .

(وقال) إذا بلغك من أخيك انه قال فيك ماتكره فلا تغتم لذلك إن كانت حقاً كانت عقوبة عاجلت وإن كان غير ذلك فحسنة لم تعملها . (وقال) روي عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال يارب أسألك أن لا يذكرني أحد إلا بخير ، قال الله عز وجل ما فعلت ذلك لنفسي . (وقال) أربعم لا ينبغي لشريف أن يأنف منها ، قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيغه ، وقيامه على دابته ولو أن له مائة عبد ، وخدمته لمن يتعلم منه . (وكان) يقول إذا بلغك عن أخيك ماتكرهه فأطلب له من عذر واحد الى سبعين عذراً فإن لم تجد له عذراً ، فقل لعل له عذراً لأعرفه .

(وقال) لرجل من قبيلة : من سيد هذه القبيلة ؟ فقال الرجل : أنا . فقال : لو كنت سيدهم ماقلت أنا . (ودخل) سفیان الثوري رضي الله عنه فرأى عليه جبة من خز ، فقال له : إنكم من بيت النبوة تلبسون هذه . فقال : ماتدري أدخل يدك . فإذا تحته مسح من شعر خشت ، ثم قال : يا ثوري أرني ماتحت جبتك . فوجد تحتها قميصاً أرق من بياض البيض . فخرج سفیان . ثم قال : يا ثوري لاتكثر الدخول علينا نضرك .

(وكان) يطعم المساكين حتى لا يبقى لعائلته شيء .

(وقال) إذا سمعتم عن مسلم كلمة فأحملوها على أحسن ماتجدون حتى لاتجدوا لها محملاً فلواموا

أنفسكم . (وعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما) قال : "لما طُعت عمر رضي الله عنه بعث الى حلقة من أهل بدر كانوا يجلسون بين القبر والمنبر فقال : يقول لكم عمر أنشدتكم بالله أكان هذا عن رضا منكم ؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : لا والله وددنا أنا زدنا في عمره من أعمارنا .

وقال ابن أبي حازم كنت عند جعفر إذ جاء أذنه فقال سفيان الثوري بالباب ، فقال إنذنت له فدخل . فقال جعفر : ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان واني أتقي السلطان أخرج عني غير إيثارٍ لذلك . فقال سفيان : حدّثني حتى أسمع وأقوم . فقال : حدّثني أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "مَنْ أُنِعَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَلِيَحْمَدِ اللهُ وَمَنْ اسْتَبَطَأَ رِزْقَهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهُ وَمَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فَلْيَقِلْ لِحَوْلٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" .

(وقال أرباب السير) وقع الذباب على وجه المنصور فذبه حتى أعجزه وأضجره فدخل جعفر فقال له : يا أبا عبدالله ما الحكمة في خلف الذباب ؟ قال : ليُذَكَّ به الجبارة .

وكان رجلٌ من أهل السواد يؤم جعفر فغاب عنه فقال له رجل إنه يبطنيء يريد أن يضم منه عنده ، فقال جعفر أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم مستوون .

(وحجّ المنصور) سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال : عليّ بجعفر بن محمد عليهما السلام قتلني الله إن لم أقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه ، ثم أعاد ذكره فتغافل عنه فأعاد ذكره ثالثاً برسالة قبيحة للربيع . فلما جيء به قال له الربيع : العذر إليك قد شدّد في طلبك . فقال : لاحول ولاقوة إلا بالله . فلما دخل عليه قال ياعدو الله إتخذك أهل العراق إماماً يحملون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وبيعتي قتلني الله إن لم أقتلك . فقال جعفر يأمير المؤمنين : إن سليمان عليه الصلاة والسلام أعطني فشكر وإن أيوب عليه الصلاة والسلام ابتلي فصبر وإن يوسف عليه الصلاة والسلام ظلّم فغفر وأنت من ذلك العنصر . فقال له المنصور : الى عندي يا أبا عبدالله البريء الساحة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جرى به ذوي الأرحام عن أرحامهم . ثم تناول يده وأجلسه معه على فراشه وطيبه بيده حتى جعل لحيته قاطرة طيباً ثم أمر له بجائزة وكسوة وقال : انصرف في حفظ الله وكنفه . فأنصرف ، فقال له الربيع : اني رأيت عجباً فما قلت يا أبا عبدالله حين دخلت ؟ قال : قلت اللهم أحرصني بعينك التي لاتنام واكنفني بركنك الذي لايرام واحفظني بقدرتك علي لأهلك وأنت رجائي ، اللهم إنك أعظم وأجلّ مما أخاف وأحذر اللهم بك أدقم في نحرهم وبك أستعيذ من شره .

(وقال) عجبت لمن أعجب بامر نفسه لايقول ماشاء الله لاقوة إلا بالله والله تعالى يقول "ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله" . (وعجبت) لمن خاف قوماً لايقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول "الذيت قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم" . (وعجبت) لمن مكر به كيف لايقول وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد الى قوله تعالى "فوقاه الله سيئات ماكروا" . (وعجبت) لمن أصابه غم كيف لايقول لاإله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين الى قوله "فنجيناها من الغم" .

(وحكى كُشاجم في كتاب المصائد والمطارِد) أن جعفر سأل أبا حنيفة رضي الله عنهما فقال : ماتقول في محرم كسر رباعية ظبي ؟ فقال : يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه . فقال له : أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية وهو ثني أبدأ .

وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفال وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة .

(كانت ولادته) سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيد الجحاف وقيل بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ودُفِنَ بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجدّه عليّ زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين . فله درّه من قبرٍ مأكرمه وأشرفه . ثم وُلِدَ له ولدٌ اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الإمام الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه . ثم إنتقل سرّ هذه النسبة الشريفة الى شبله سيد هذه السلسلة المجلّة الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما

الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه

تبارك مَنْ أنتج هذه الثمرة من تلك الشجرة النبوية المظهرة ما أقدره فهو إمام الصبر على التقوى والعبادة الحائر لقصب السبق في ميدان سيادة الولاية وولاية السيادة . سُمِّيَ بالكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وبالعباد الصالح من كثرة عبادته واجتهاده وقيامه الليل . فإنه كان أعبد أهل زمانه .

(روي) أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد سجدةً في أول الليل وسُمع وهو يقول في سجوده "عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى وأهل المغفرة" فجعل يرددتها حتى أصبح . وكان من أكابر العلماء الأسخياء وكان يبلفه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصره فيها ألف دينار . وكان يصرُّ الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمئة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة .

وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي بغداد فحبسه فرأى في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول "يامحمد فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم" . قال الربيع : "فأرسل الي ليلاً فرأني ذلك فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً وقال علي بموسى بن جعفر فجننته به فعانقه وأجلسه الي جنبه وقال :

- يا أبا الحسن اني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني أن تخرج علي أو علي أحد من أولادي .

فقال : والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني .

قال : صدقت اعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه الي أهله بالمدينة .

قال الربيع فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق ، انتهى" .

وأقام بالمدينة الي أيام هارون الرشيد . فلما حج الرشيد سعي به اليه فقال له الرشيد حين راه جالساً عند الكعبة : أنت الذي يبابعك الناس سراً .

قال : أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم .

وسأله الرشيد : كيف تقولون نحن أبناء المصطفى وأنتم أبناء علي ؟

فقرأ جعفر ومن ذريته داود وسليمان الي أن قال وعيسى وليس له أب .

(ومن كلامه) إذا صحبت رجلاً وكان موافقاً لك ثم غاب عنك فلقيته فاضطرب قلبك عليه فارجع الي نفسك فانظر فإن كنت أعوججت فتب وإن كنت مستقيماً فاعلم أنه ترك الطريق وقف عند ذلك ولا تقطم منه حتى يستبين لك إن شاء الله تعالى .

(ومن بديع كراماته) ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي عن شقيق البلخي : انه خرج فراه بالقادسية منفرداً عن الناس فقال في نفسه هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس لأوبخنه . فمضى اليه فقال :

- يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم .

فأراد البلخي ان يعانقه فغاب عن عينه ، ثم راه على بئر فسقطت ركوته فيها فدعا لطفها الماء حتى

أخذها فتوضأ وصلّى ثم مالَ الى كَثيب من الرمل فطرح منه فيها وشرب ، فقلتُ :
- أطمعني مما رزقك الله .
فقال : يا شقيق لم تزل أنعمُ الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك .
فناولنيها فشربتُ فإذا هو سويق وسكر فأقمت أياماً لأشتهي شراباً ولا طعاماً ثم لم أره إلا بمكة وهو
بغلمانهِ وغاشيته" .
(ولما) أتى هارون الرشيد قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائراً وحوله قريش وأقناء القبائل ومعه
موسى بن جعفر ، فقال :
- السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمِّ . (افتخاراً على من حوله)
قال موسى : السلام عليك يا أبت .
فتغيّر وجه هارون الرشيد وقال : هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقاً .
ولم يحتلما وحمله الى بغداد مقيداً وحبسهُ فلم يخرج من حبسه إلا مُقيداً مسموماً . (وذكر) أنه بعث
الى الرشيد برسالة من الحبس كان منها أنه "لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من
الرخاء ثم نمضي جميعاً الى يوم ليس فيه إنقضاء يخسر فيه المُبتلون" .
(وُلد رضي الله عنه) بالمدينة يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفي لخمسة
بقيت من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ببغداد في الحبس . ودُفن في مقابر الشونيزية خارج القبّة
وقبره هناك مشهور يُزار وعليه مشهدٌ عظيم فيه قناديل من الذهب والفضّة وأنواع الآلات والفُرش ما
لا يُحَدُّ ، وهو في الجانب الغربي رضي الله عنه . ثم تلقى عنه سيد هذه السلسلة المجلّة ولده الإمام عليّ
الرضا رضي الله عنهما .

الإمام عليّ الرضا رضي الله عنه

عقدُ جيد الرسالة ووشام عطف سلالة الشرف وشرف السلالة ، جعل الله تعالى وجوده العزيز على قدرته أعظم دلالة . فلا يسم ساعياً في اطرائه براءة عبارة ولا يدرك مدارك عرفانه إلا بلسان الإشارة . كان عظيم الشأن والقدر مشهور الفضل حميد الذكر أحله المأمون محل مهجته وأشركه في مملكته وعقد له على إبنته وعهد إليه بالخلافة من بعده بعدما أراد أن يخلم نفسه ويفوضها في حياته إليه فممنعه بنو العباس ، فمات قبله فأسف كل الأسف عليه .

وله كرامات كثيرة (منها) أنه أخبر أنه يأكل عنباً ورمناً فيموت فكان كذلك . (ومنها) أنه قال لرجل صحيح سليم استعد لما لابد منه فمات بعد ثلاثة أيام ، رواه الحاكم .
(ومنها) مارواه الحاكم أيضاً عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال :

"رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم في المنزل الذي ينزله الحاجُّ ببلدنا . فوجدت عنده طبقاً من خوص فيه تمر صيحاني . فناولني ثمان عشرة تمرّة . فبعد عشرين يوماً قدم عليّ الرضا من المدينة ونزل في ذلك المنزل وهُرعَ الناس للسلام عليه ، ومضيتُ نحوه فإذا هو جالس بالموضع الذي رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم قاعداً فيه وبين يديه تمر صيحاني ، فناولني قبضة فإذا عدتها بعدد ماناولني المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : زدني . فقال : لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك .

(وقال المأمون لعليّ بن موسى الرضى) : ما يقول بنو أبيك في جدنا العباس بن عبدالمطلب ؟

فقال : ما يقولون في رجل فرض الله طاعة بنيه على خلقه وفرض طاعته على بنيه . فأمر له بألف درهم . " وكان قد خرج أخوه زيد بن موسى بالبصرة على المأمون وفتك بأهلها . فأرسل إليه المأمون أخاه علياً المنوّه به برده عن ذلك . فجاءه وقال له :

- ويلك يا زيد فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت وترعّم أنك ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله لأشدّ الناس عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم . يا زيد ينبغي لمت أخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطي به . فبلغ كلامه المأمون فبكى وقال : " هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

(قال ابن خلكان) وأخر هذا الكلام مأخوذاً من كلام عليّ زين العابدين المقدم ذكره . فقد قيل انه كان إذا سافر كتّم نفسه فقيل له في ذلك فقال أنا أكره أن أخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأعطي . (وقال بعض أصحاب أبي نواس) ما رأيت أوقم منك ، ماتركت خمرأ ولا طربأ ولا مغنى إلا وقلت فيه شيئاً وهذا عليّ بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً . فقال والله ماتركت ذلك إلا إعظاماً له وليس قدر مثلي أن يقول في مثله ، ثم أنشد بعد ساعة :

قيل لي أنت أحسن الناس طراً
لك من جيد القريض مديم
فعلام تركت مدم ابن موسى
قلت لأستطيع مدم إمام
في فنون من الكلام النبويه
يثمر الدرّ في يدي مجتبيه
والخصال التي تجمعت فيه
كان جبريل خادماً لأبيه

وقال فيه أيضاً :

مطمّرون نقيّاتٌ جيّوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
مَن لم يكن علويّاً حين تنسّبهم فماله في قديم الدهر مُفتخر
الله لما برا خلقاً فاتقنه صفاكم وإصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملاء الأعلى وعنـدكم علم الكتاب وما جاءت به السور

(قلت) ومن هذا يلتمس العذر لأبي نؤاس وأمثاله من كبار الشعراء المُجيديين عن عدم جرأتهم على مدح الحضرة المحمّدية . لا كما يتوهمه بعض القاصرين لا يُقال كيف مدحه المتأخرون إذاً لأننا نقول إنما قصد المتأخرون بذلك مجرد التبرك لا أداء حقّه . والمتقدمون علموا أن أداء حقّه للبشر مستحيل فتوقفوا ولكلّ وجهة .

(وكانت) ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة وتوفي آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين بمدينة (طوس) وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد . قيل سبب موته أنه أكل عنباً فأكثر منه ، وقيل بك كان مسموماً فاعتك منه فمات رضي الله عنه . ثم تلقى سرّ هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلّة مولاة أبو محفوظ سيدنا معروف بن فيروز الكرخي رضي الله تعالى عنه .

سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه

المولى الذي مَلَكَ ما ملكَ من خيار الأحرار بما سَلَكَ من أحوال الأبرار وأدركَ من غوامض الأسرار . أنطَقَهُ الله تعالى بالحكمة وعَلَّمَهُ من المعارف الجَمَّة ما لم يَعْلَم أحد علمه وجعلهُ حياً وميتاً للعباد رحمة وطَهْر سرّه من الدنيا وجهره مع ما أنعم به عليه من الولاية العظمى وتلك الشهرة . وقد قيل التصوّف التوقّي من الأقدار والتنقّي من الأقدار .

(وكان) شيخ السلسلة وهو أستاذ السري السقطي ولم يكن في العراق في زمنه من يربّي المريدين مثله حتى كان جميع المشايخ يعترفون له بذلك . (قال الفزالي) كان أحمد بن حنبل وابن مَعِين يختلفان اليه ويسألانه . ولم يكن في علم الظاهر مثلهما فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل إذا جاءنا أمرٌ لم نجد في كتاب الله ولا سنّة رسوله وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "سلوا الصالحين" . (وكان) مُجاب الدعوة ويقول أهل بغداد قبر معروف تريكاً مجرّب . (وكان) أبواه نصرانيين فسَلّماه للمعلم طفلاً فصار يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول بل إله واحد ، فضربه ضرباً مبرحاً . فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه . ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى ورجع الى أبويه فهدى الباب ففعل له من الباب ، فقال معروف فقيل على أي دين ، فقال الإسلام . فأسلم أبواه .

(ومن كراماته) ما قاله خليل الصياد : "غاب أبي فتألمت فجننت الى معروف فقلت غاب أبي . فقال ما تريد ؟ قلت رجوعه . فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك أنت بمحمد . فأتيت باب الشام فإذا هو واقف قلت أين كنت ، قال كنت الساعة بالأنبار ولأعلم ماصار" .

(ومن كلامه) كلام الرجل فيما لايعنيه مقت من الله . (وقال) حقيقة الوفاء إفاقة السر من رقدة الغفلات وفراغ الهم من فضول الآفات . (وقال) إذا أراد الله بعبد خيراً فتم عليه باب العمل بما علم وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد به شراً فعكسه . (وقال) توكل على الله حتى يكون هو معلّمك ومؤنسك وموضع شكواك ، وليكن ذكر الموت جليساك لايفارقتك .

(وكان) من دعائه اللهم لاتجعلنا بثناء الناس مغرورين ولابالستر مفتونين . (وقال) طول الأمل يمنح خير العمل . (وقال) كيف يكون تقياً من لايعرف ما يتقي . (وقال) من قال كلّ يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد ، اللهم إرحم أمة محمد ، كُتِبَ من الأبدال . (وقال) طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الضرور ، ورجاء رحمة من لايطام جهلاً وحُمف . (وقال) السخاء إيثار ماتحتاج إليه عند الإعسار . (وقال) ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين منهم . (وقال) لولا خروج الدنيا من قلوب العارفين ماقدروا على فعل الطاعات ولو بقي من حبها ذرة في قلوبهم ماسلّمت لهم سجدّة واحدة . (وقال) إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين فلايكراهه إلا من بقلبه مرض . (وقال) إذا أراد الله بعبد خيراً زوى عنه الخذلان وأسكنه بين الفقراء الصادقين وإذا أراد به شراً عطّله عن العمل الصالح وأسكنه بين الأغنياء . (وقال) شفاء كلّ بلاء نزل بالعبد كتمانته فإت الناس لاينفعونه ولايضرّونه ولايعطونه ولايمنعونه . (وقال) ليست المحبة من تعليم الخلق بل من مواهب الله . (وقال) إنما

الدنيا قَدْرٌ تغلي وكثيف يُملِي . (وقال) إحفظ لسانك من المدم كما تحفظه من الذم . (وقال) التصوف : الأخذ بالحقائق والياس مما في أيدي الخلائق . ومَرَّ بسقاء يقول "رحم الله من شرب" فشرب فقيلاً ألم تكن صائماً؟ قال نعم لكن رجوت دعاءه . (ونزل) دجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فأخذتاهما امرأة فتبعهما فقال : ياأختي لا بأس عليك ألك ابن يقرأ أو زوج يقرأ؟ قالت : لا . قال : هات المصحف وخذي الثوب .

ولما مرض قال "تصدقوا بقميصي فاني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً . (صحب) داود الطائي وقال لتلميذه السري السقطي يوماً إذا كانت لك حاجة الى الله تعالى فأقسم عليه بي .

(وقال السري السقطي) رأيت معروفاً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلّت قدرته يقول لملأئكتهم من هذا وهم يقولون أنت أعلم ربنا منا ، فقال هذا معروف الكرخي سكر من فرط حبه فلا يفيق إلا بلقائي .

(وقال معروف) "قال لي بعض أصحاب داود الطائي إياك أن تتترك العمل فإن ذلك الذي يقربك الى رضا مولاك . فقلت : وماذا العمل؟ قال : دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلميت والنصيحة لهم" .

(وقال محمد بن الحسن) سمعت أبي يقول رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد موته فقلت : ما فعل الله بك فقال غفر لي ، فقلت بزهدك وورعك فقال لا بك بقبول موعظة ابن السمك ولزومي الفقر ومحبة الفقراء . وكانت موعظة ابن السمك مارواه معروف قال : "كنت ماراً بالكوفة فوقف على رجل يقال له ابن السمك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض عنه جملة ، من أقبل على الله بكليته أقبل الله تعالى برحمته عليه وأقبل بوجوه الخلق اليه . ومن كان مرة ومرة فإن الله تعالى يرحمه وقتاً ما . فوقع كلامه في قلبي وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ماكنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك هذا موعظة إن اتعظت" .

(وكان) يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فيقال له إن أخاك بشر إلا يأكله فيقول أخي قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة إنما أنا ضيف في دار مولاي مهما أطعمني أكلت . (وقيل له) كل من دعاك يمر إليه . قال إنما أنا ضيف أنزل حيثما ينزلوني .

(وكان يقول) يانفس اخلصي وتخلصي . ولم يزل على حاله حتى دنا من قبره فتدلى وأعرض عن الدنيا وولّى سنة إحدى ومائتين ببغداد وقبره مشهور بها يزار رضي الله عنه . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة عنه شيخ هذه السلسلة المجلّة السري السقطي ابن المغلس رضي الله عنه .